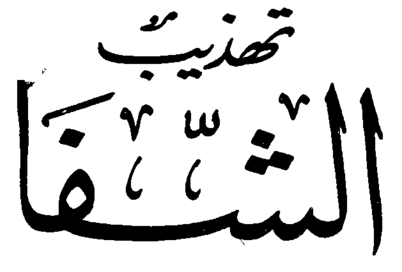


بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي

قام بتهذيبه وترتيبه

جمال الدين سيروان   نور الدين قره علي

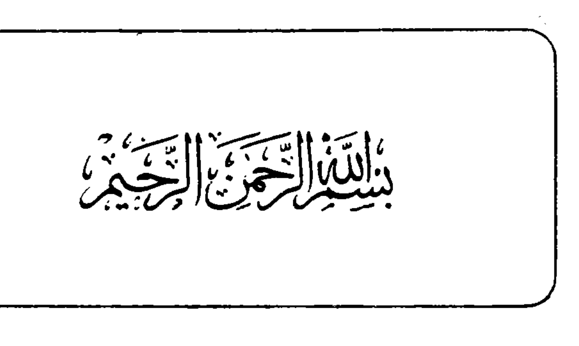
الجزء الثاني

٢

"هدية شركة النهضة الطبية"

لأصحابها

عبدالله يحيى الجفري وولديه عبدالعزيز ويحيى


بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمة

أخي القارئ :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛

لقد منّ الله علينا بالانتماء لهذا الدين الخالد .. وشرّفنا بالانتساب لهذه الأمة التي بعث الله فيها خاتم النبيين وقائد المرسلين سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم .

وإن مما يجدر بالمؤمن الحصيف .. أن يولي اهتمـامه بالاطلاع على شمائل أسوة المؤمنين ، وقدوة المسلمين .. النبي الكريم عليه الصـلاة والسلام .. وخاصة في زمن تضاربت فيه الآراء ، واختلت فيه الموازين إذ يجد المسلم في شمائله صلوات الله عليه وسـلامه منقذاً من الحـيرة وسبيلا الى الاطمئنان ...

فبادر أخي وافتح صفحات الجزء الثاني من هذا الـكتاب النّفيس عقب ما اطّلعت عليـه في الجـــزء الأول بُغية أن تزداد تفتح ذهن .. وإشراق قلب .. وفيض شعور من خلال تذوقك سُمُو الخلق .. وطهارة القصد ، ونظافة السبيل ..

(وأنّ هَذا صِراطي مُستَقيمـاً فاتّبِعوهُ ولا تتّبعـوا السُبلَ فتَفرقَ بِكُم عن سبيلِه ذلكُم وصّاكم به لعلكم تتّقونَ) .

وحبّذا لو تجعـل هـذه القـراءة مع أهلك وأصـفيائك عسى أن تغمرنا بركة هذه الخصال فنَنعم بالتحلي بها ، فنكون أتباع صدق لمن وصفه ربّه الجليل سبحانه وتعالى :

(وإنّك لعلى خُلُق عَظيم) .

نسأله سبحانه وتعالى سـلامة القصد ونقاء السريرة وهو الهادي الى سواء الصّراط ؟

المحققان

الباب الثاني

في

تكميل الله تعالى له المحاسن خَلْقاً وخُلُقاً

وقِرانُه جميعَ الفضائل الدينية

والدُّنيوية فيه نَسقاً



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الباب الثاني

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم ، الباحث عن تفاصيل جُمَل قدره العظيم ، أنَّ خصال الجمال(١) والكمال في البشر نوعان :

خصال الجمال والكمال في البشر

ـ ضروري دنيوى ... اقتضته الجِبِلَّة(٢) وضرورة الحياة الدنيا .

ـ ومكتسب ديني ... وهو ما يُحمد فاعله ويقرِّب الى الله زلفى(٣) .

ثم هي على فئتين أيضاً :

أ ـ منها ما يتخلَّص(٤) لأحد الوصفين .

ب ـ ومنها ما يتمازج ويتداخل .

الضروري ما ليس فيه اختيار

فأمَّا الضروري المحض : فما ليس للمرء فيه اختيار ، ولا اكتساب ، مثل ما كان في جِبِلَّته من كمال خلقته ، وجمال صورته ، وقوة عقله ، وصحة فهمه ، وفصاحة لسانه ، وقوة حواسه وأعضائه ، واعتدال حركاته ، وشرف نسبه ، وعزة قومه وكرم أرضه .

(١) وفي نسخة « الجلال » .
(٢) الجبلة : الخلقة التي خلق عليها .
(٣) زلفى : قربة .
(٤) يتخلص : يتمحض .

ويلحق به : ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ، ونومه ، وملبسه ، ومسكنه ، ومنكحه ، وماله وجاهه .

وقد تلحق هذه الخصال الآخرة(١) بالأخروية ، إذا قصد بها التقوى ، ومعونة البدن على سلوك طريقها ، وكانت على حدود الضرورة ، وقواعد الشريعة .

المكتسبة : ما تقرب الى الله وللانسان فيها اختيار

وأما المكتسبة الأُخروية : فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من : الدين ـ والعلم ـ والحلم ـ والصبر ـ والشكر ـ والعدل ـ والزهد ـ والتواضع ـ والعفو ـ والعفة ـ والجود ـ والشجاعة ـ والحياء ـ والمروءة ـ والصمت ـ والتؤدة ـ والوقار ـ والرحمة ـ وحسن الأدب والمعاشرة ... وأخواتها ، وهي التي جماعها (حُسن الخُلُق) .

ـ وقد يكون من هذه الأخلاق ، ما هو في الغريزة(٢) ، وأصل الجِبِلَّة لبعض الناس ؛ وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ، ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجِبِلَّة شعبة ... كما سَنُبَيِّنُهُ ـ إن شاء الله تعالى .

لا بد للاخلاق المكتسبة من اصول

ـ وتكون هذه الأخلاق دنيوية ، اذا لم يُرَدْ بها وجه الله ، والدار الآخرة ـ ولكنها كلها محاسن ، وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة ، وإن اختلفوا في موجب حسنها ، وتفضيلها ...

---

(١) أي الأخيرة المتعلقة بالأمور العادية الواقعة في الأحوال الدنيوية .
(٢) السجية والطبع .

الفصل الأول

يعظم الانسان بقليل من هذه الخصال

قال القاضي : اذا كانت خصال الكمال ، والجلال وما ذكرناه ـ ورأينا الواحد منا يشرف بواحدة منها ، أو اثنتين ـ إن اتفقت له في كلِّ عصرٍ وأوانٍ ـ إمَّا مِن نسب ، أو جمال . أو قوةٍ أو علم ، أو حلم ، أو شجاعة ، أو سماحة ، حتى يعظُم قدره ، ويُضرب باسمه الأمثال ، ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أُثْرة(١) وعظمة ، وهو منذ عصورٍ خوالٍ(٢) رِممٌ(٣) بَوالٍ(٤) .

اجتماع خصال الكمال والجلال في محمد صلى الله عليه وسلم

ـ فما ظنُّك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال ، الى ما لا يأخذه عدٌّ ، ولا يُعَبِّر عنه مقال ، ولا يُنَال بِكسب ، ولا حيلة ، إلاّ بتخصيص الكبير المتعال ، من فضيلة النبوة ، والرسالة والخُلّة ، والمحبة ، والاصطفاء ، والرؤية والقرب ، والدُّنُو ، والوحي

(١) أثرة : مكرمة .
(٢) خوال ج «خال » وهو الخالي أي : السالف .
(٣) رمم ـ بكسر الراء وقد يضم . ج رمة أو رميم وهي العظام وأجزاء البدن البالية .
(٤) بوال : ج بالية وبالٍ . وهي تاكيد لكلمة رمم .

والشفاعة والوسيلة والفضيلة ، والدرجة الرفيعة ، والمقام المحمود ، والبُراق ، والمعراج ، والبعث الى الأحمر والأسود ، والصلاة بالأنبياء ، والشهادة بين الأنبياء ، والأمم ، وسيادة ولد آدم ، ولواء الحمد ـ والبشارة ، والنذارة ، والمكانة عند ذي العرش ، والطاعة ثَمَّ(١) ، والأمانة ، والهداية ، ورحمة للعالمين ، وإعطاء الرضى والسؤال ، والكوثر ، وسماع القول ، وإتمام النعمة ، والعفو عما تقدم وتأخر ، وشرح الصدر ، ووضع الوزر ، ورفع الذكر ، وعزة النصر ، ونزول السكينة ، والتأييد بالملائكة ، وإيتاء الكتاب والحكمة ، والسبع المثاني والقرآن العظيم ، وتزكية الأمة ، والدعاء إلى الله ، وصلاة الله تعالى والملائكة ، والحكم بين الناس بما أراه الله ، ووضع الإصر(٢) والأغلال(٣) عنهم ، والقَسَم باسمه . وإجابة دعوته ، وتكليم الجمادات والعُجم(٤) .

(١) ثم : بمعنى هناك .
(٢) الاصر : العهد الثقيل والتكليف الوبيل وقيل:المراد به العقوبة من نحو المسخ .
(٣) الاغلال : أي العبادات الشاقة .
(٤) العجم : هي الحيوانات وقد سميت بذلك لانها لا تقدر على الكلام .

وإحياء الموتى وإسماع الصمّ ، ونَبع الماء من بين أَصابعه ، وتكثير القليل ، وانشقاق القمر ، وردّ الشمس ، وقلب الأَعيان ، والنصر بالرُّعب والاطلاع على الغيب ، وظل الغمام ، وتسبيح الحصا ، وابراء الآلام ، والعصمة من الناس ...

لا يحيط بصفاته الا مانحها

ـ إلى ما لا يحويه مُحْتَفِل(١) ، ولا يحيط بعلمه إلاّ مانحه ذلك . ومفضّله به لا إلهَ غيرُه .

ـ إلى ما أَعدّ له في الدار الآخرة ، من منازل الكرامة ، ودرجات القُدْس ، ومراتب السعادة والحسنى ، والزيادة التى تقف دونها العقول ، ويحار دون إدراكها الوهم(٢) ...

---

(١) محتفل : اي مهتم ، بمعنى أن من اهتم بجميع هذه الصفات وامثالها لا يمكنه الاحاطة بها .

(٢) الوهم : قوة يدرك بها الجزئيات المحققة وغيرها .

الفصــل الثاني

صِفاته الخلقية صلى الله عليه وسلم

إن قلت ـ أكرمـك الله ـ : لا خفـاء على القطع بالجملة ، أنه صلى الله عليه وسلم أعلى النـاس قـدراً ، وأعظمهم محلاً ، وأكملهم محاسـن وفضـلاً ، وقد ذهبت في تفاصـيل ، خصال الكمال مذهباً جميلاً ، شوقني إلى أن أقِـف عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلّم تفصيلاً .

فاعلم ـ نوّرَ الله قلبي وقلبك ، وضاعف في هذا النبي الـكريم حبّي وحبُّك ـ أنك إذا نظـرت إلى خصـال الـكمال ، التي هي غير مكتسبة ، وفي جِبِلّة الخلقة ، وجدته صلى الله عليه وسلم حائزاً لجميعها ، محيطاً بشتات محاسنها ، دون خلاف بين نَقَلة الأخبـار(١) لذلك : بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع .

حاز جميع خصال الـكمال الضروري

الصورة وجمالها

أما الصورة وجمالهـا ، وتناسب أعضائه

(١) الاحاديث والآثار .

في حسنها ، فقد جاءت الآثار الصحيحة ، والمشهورة الكثيرة ، بذلك من حديث علي وأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، والبراء بن عازب، وعائشة أم المؤمنين، وابن أبي هالة، وأبي جُحَيْفَةَ ، وجابر بنِ سَمُرةَ ، وأمِّ معبد وابن عباس ومعرِّض بن مُعَيْقيب وأبي الطفيل ، والعدّاء بن خالد ، وخُريم بن فاتك وحَكيم بن حِزام ، وغيرهم رضي الله عنهم .

الرواة

من أنّه صلى الله عليه وسلم كان :

صفاته الخلقية

أزهر(١) اللون ، أدعجَ(٢) ، أنجلَ(٣) ، أشكلَ(٤) ، أهدبَ الأشفار(٥) ، أبلجَ(٦) ، أزجَّ(٧) ، أقنى(٨) ، أفلجَ(٩) ، مدوَّر الوجه(١٠) ، واسعَ الجبين(١١) ، كثَّ اللحية

(١) أزهر اللون : حسنه أو أبيض .
(٢) أدعج : شديد سواد الحدقة .
(٣) أنجل : واسع شق العين مع حسنها .
(٤) أشكل : في بياض عينه قليل حمرة .
(٥) أهدب الأشفار : كثير شعر حروف أجفان عينيه .
(٦) أبلج : مشرق الوجه .
(٧) ازج : دقيق شعر الحاجبين طويلهما الى مؤخر العين مع تقوس .
(٨) أقنى : مرتفع قصبة الانف مع احديداب يسير فيها ، والمشهور انه صلى الله عليه وسلم كان أشم ، والشمم ارتفاع قصبة الانف مع استواء أعلاه وقد يجمع بينهما بأن ارتفاعها كان يسيراً جداً ـ من رآه متاملا عرفه أشم ، ومن لم يتامله ظنه اقنى .
(٩) افلج : متباعد ما بين الثنايا ، وقلته محمودة .
(١٠) ولكن الى الطول اقرب .
(١١) الجبين : هو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال .

تملأ صَدره . سَواءَ البطنِ والصدرِ ، واسعَ الصدر(١) ، عظيمَ المَنْكِبَين(٢) ، ضخمَ العظام ، عَبْلَ(٣) العضُدين والذراعين والأسافل ، رحبَ(٤) الكفَّين ، والقدمين ، سائلَ(٥) الأطراف ، أنورَ المتجرِّدِ(٦) ، دقيقَ المسرُبة(٧)، ربْعَةَ(٨) القدِّ ، ليس بالطويل البائن(٩) ، ولا القصير المتردد ، ومع ذلكِ فلم يكن يماشيه أحدٌ ينسب الى الطول إلاّ طالَه صلى الله عليه وسلَّم رَجِلَ(١٠) الشَّعَر ، اذا افترَّ(١١) ضاحِكاً افترَّ عن مثل سنا البرق ، وعن مثل حَبِّ الغمام ، اذا تكلَّم رُئِيَ كالنور يَخرُج من ثنايا ، أحسن النَّاس عُنُقاً ، ليس

(١) حسا ومعنى .
(٢) المنكب : مجموع عظم العضد والكتف .
(٣) العبل : الضخم .
(٤) الرحب الواسع . وهنا حسا ومعنى .
(٥) سائل : تام .
(٦) ما تجرد من بدنه اعظم اشراقا من غيره .
(٧) المسربة : خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة .
(٨) الربعة : المربوع .
(٩) البائن : المفرط .
(١٠) رجل : ما بين الجعودة والسبوطة .
(١١) ابدى اسنانه .

بمُطَهَّم(١) ولا مُكَلْثم(٢) ، متماسك البدن(٣)، ضربُ اللحم(٤) .

قال البراء : ما رأيت من ذي لمـة(٥) ، في حُلّة حمراء ، أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلّم(٦) ؛ كأن الشمس تجري في وجهه ، وإذا ضحك يتلألأ في الجُدُر(٧) ...

وقال جابرُ بنُ سَمُرةَ : وقال له رجل : كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال : لا بل مثل الشمس والقمر ، وكان مستديراً(٨) . وقالت(٩) أمُّ مَعْبَد في بعض ما وصفته به :

نور وجهه كالشمس والقمر

(١) المطهم : المدور الوجه ، وقيل : هو السمين الفاحش وقيل: المنتفخ الوجه وقيل: النحيف الجسم .

(٢) ولا مكلثم : أي ليس بمجتمع لحم الوجه والمقصود أنه لم يكن وجهه مفرطاً في الاستدارة .

(٣) متماسك البدن : ليس*برهل مسترخ لحمه .

(٤) ضرب اللحم : خفيفة ولطيفة لا يابسه وكثيفه .

(٥) اللـمّة : بكسر اللام وتشديد الميم وهي ما طال من شعر الراس في احد جانبيه وقيل : ما جاوز من شعره شحمة الاذن وسميت بها لالمامها بالمنكبين .

(٦) كما رواه الشيخان وغيرهما .

(٧) رواه أحمد والترمذي وابن حبان . ومعنى يتلألأ في الجدر : اي ان نور وجهه الشريف يشرق اشراقا يصل الى الجدران المقابلة كما يكون ذلك من الشمس .

(٨) كما رواه الشيخان وغيرهما .

(٩) أي من رواية البيهقي في دلائله عن أخيها حبيش بن خالد عنها .

أَجمل الناس من بعيد ، وأَحلاه وأحسنه من قريب .

وفي حديث(١) ابن أبي هالةَ :

يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ، ليلة البدر .

وصف علي رضي الله عنه له

وقال(٢) علي في آخر وصفه له :

من رآه بديهة(٣) هابه ومن خالطه معرفة أحبَّه .

يقول ناعته : لم أَرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم .

ـ والأحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها .

ـ وقد اختصرنا في وصفه نُكَتَ(٤) ما جاء فيها ، وجملةً مما فيه الكفاية في القصد إلى المطلوب .

ـ وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ـ إن شاء الله تعالى ـ

(١) سياتي الحديث .
(٢) على ما في جامع الترمذي وشمائله .
(٣) بديهة : مفاجاة من غير روية اي اول وهلة .
(٤) النكت : اللطائف والدقائق .

الفصل الثالث

نظافته صلى الله عليه وسلم

أما نظافة جسمه ، وطيب ريحه وعرقه ، ونزاهته عن الأقذار ، وعورات الجسد(١) ؛ فكان قد خصَّه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ، ثم تمَّمها بنظافة الشرع ، وخصال الفطرة العشر(٢) . وقال : « بُني الدِّين على النظافة(٣) » .

تم الله نظافة جسده بنظافة الشرع

عن أنس قال : « ما شممْت عنبراً قطُّ ، ولا مسكاً ، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول

---

(١) عورات : عيوب .

(٢) لحديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عشر من الفطرة .. قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم ، ونتف الابط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء ... قال مصعب بن شيبة راويه : ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة ... وانتقاص الماء يعني الاستنجاء ، وقال المؤلف في شرح مسلم . ولعل العاشرة الختان لانه مذكور في قوله عليه الصلاة والسلام : (الفطرة خمس ...) .

(٣) وهذا الحديث وان قال العراقي في تخريج أحاديث الاحياء لم أجده هكذا بل في الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة رضي الله عنها : (تنظفوا فان الاسلام نظيف) . وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث ابن مسعود رضي الله عنه : (النظافة تدعو الى الاسلام) اهـ فقد روى الرافعي في تاريخه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه بعض حديث مرفوعاً : (تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله تعالى بنى الاسلام على النظافة . ولن يدخل الجنة الا كل نظيف) وينصره حديث الترمذي : (ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا أفنيتكم) .

اللَّهَ صلى اللَّهَ عليه وسلم(١) .

طيب رائحة يده صلى الله عليه وسلم

وعن جابر بن سَمُرةَ : « أنه صلى اللَّهَ عليه وسلم مسح خدَّه ، قال : فوجدت ليَدِه برداً وريحاً ، كأنما أخرجها من جُونة عطَّار(٢) » .

قال غيره : مسَّها بطيب أو لم يمسها ، يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها . ويضع يده على رأس الصبي فيُعرفُ من بين الصبيان بريحها .

كانوا يمزجون طيبهم بعرقه صلى الله عليه وسلم

ـ « ونام رسول اللَّهَ صلى اللَّهَ عليه وسلم في دار أنس على نِطْع(٣) فعرق ، فجاءت أمه بقارورة تجمع فيها عرقه ، فسألها رسول اللَّهَ صلى اللَّهَ عليه وسلم عن ذلك ، فقالت : نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب(٤) » .

وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر :
« لم يكن النبي صلى اللَّهَ عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد إلاَّ عرف أنَّه سلكه ، من طيبه » .

---

(١) الحديث في مسلم وفي الشمائل .
(٢) روى الحديث مسلم وهذا جزء من الحديث .
(٣) النطع : البساط .
(٤) اخرج الحديث مسلم . وزاد البخاري عليه (نرجو بركته لصبياننا) .

وذكر إسحق بن راهَوَيْهْ : أنَّ تلك كانت رائحته بلا طيب صلى اللهَّ عليه وسلم .

روى المُزَني ، والحربي ، عن جابر رضي الله عنه قال : « أردفني النَّبي صلى اللهَّ عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النُّبوة بفمي ، فكان ينِمُّ(١) عليَّ مسكاً » .

صلى الله عليك ياسيدي يارسول الله .. طبت حياً وميتاً

ومنه(٢) حديث علي رضي اللهَّعنه: «غسَّلت النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهبت أَنظُر ما يكون من الميت ، فلم أجد شيئاً فقلت : طبتَ حياً وميتاً . قال وسطعت(٣) منه ريح طيبة ، لم نجد مثلها قط » .

ومثله قال(٤) أبو بكر رضيَ اللهَّ عنه حين قبَّلَ النبي صلى اللهَّ عليه وسلم ، بعد موته .

ذكر من شرب دمه صلى الله عليه وسلم

ـ ومنه شرب مالك بن سنان دمه ، يوم أُحُد ومصَّه إيَّاه . وتسويفه صلى اللهَّ عليه وسلم ذلك له وقوله له : « لن تصيبه النار(٥) » .

---

(١) ينم : يفوح .
(٢) فيما رواه ابن ماجة وابو داود في مراسيله .
(٣) اي : ارتفعت وانتشرت .
(٤) رواه البزار عن ابن عمر بسند صحيح وهو بعض خبر في البخاري .
(٥) رواه الطبراني في معجمه الأوسط ورواه البيهقي .

ومثـــله(١) شرب عبـــد اللهَ بن الزبـــير دم حجامته ، فقال له عليه السلام : « ويل لك من النــاس . وويل لهم منك » ولم ينكر عليه ؛ ولم يأمر واحداً منهما بغسل فم ، ولا نهاه عن عـَود .

(١) كمـا رواه الحـاكم والبـزار ، والدارقطني والبيهقي والبغـوي ، والطـبراني وسنده جيد .

الفصـل الرابع

وُفُور عقله وفصاحة لسانه وقوة حواسِّه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أعقل الناس .

أما وُفُور عقـله ، وذكاء لبـه ، وقـوة حواسه . وفصاحة لسانه . واعتدال حركاته، وحُسن شمائله ، فلا مرية(١) أنه كان أعقل الناس وأذكاهم .

ـ ومن تأمل تدبيره أمرَ بواطن الخَلق ، وظواهرهم ، وسياسة العـامة والخاصة ، مع عجيب شمائله ، وبديع سِيَره ، فضلاً عمـا أفاضه من العلم ، وقـرره من الشرع ، دون تعلُّم سَبَق ، ولا ممارسـة تقـدَّمت ، ولا مطالعـة للكتب منـه ، لم يَمْتَرِ في رجحـان عقله ، وثقوب(٢) فهمه ، لأول بديهة .

ـ وهذا لا يُحْتاج إلى تقريره لِتَحَقُّقِهِ .

وقد قال وَهْب بن مُنبِّـه : قرأت في أحـد

(١) مرية : شك .
(٢) ثقوب الفهم : يقال رجل ثاقب الراي : اي نافذ الرأي ينظر فيه بدقة .

وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً .

عقول الناس كعبة رمل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم

وفي رواية أخرى : فوجدت في جميعها ، أنّ اللهَ تعالى لم يُعط جميعَ الناس من بدء الدنيا الى انقضائها ، من العقل في جنب عقله صلى اللهَ عليه وسلم ، إلاّ كحبة رَمل من بين رمال الدنيا .

يرى من خلفه كما يرى من امامه

وقال(١) مجاهد : كان رسول الله صلى اللهَ عليه وسلم ، إذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه .

وبه فسر قوله تعالى : « وَتَقَلُّبَكَ في السَّاجِدِين(٢) » .

وفي المُوطّأ(٣) عنه عليه الصلاة والسلام : « إنّي لأراكم من وَراء ظهري(٤) » .

ونحوه عن أنس في الصحيحين(٥) .

---

(١) اي كما رواه عنه ابن المنذر والبيهقي مرسلاً .
(٢) سورة الشعراء : آية ٢١٩ .
(٣) عن ابي هريرة رضي الله عنه .
(٤) وصدر الحديث (اترون قبلتكم هذه فوالله لا يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم) .
(٥) وهو ما روياه عن انس مرفوعا (اقيموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من بعدي) .. وربما قال : (من بعد ظهري إذا ركعتم وسجدتم) .

وعن عائشةَ مثله(١) قالت : « زيادة زاده الله إيَّاها في حـُجَّتـِه » .

وفي بعض الروايات(٢) : « إنـِّي لأَنظـُر من ورائي كما أَنظر من بين يديَّ » .

وفي أخـرى(٣) : « إنـِّي لأَبصر من قفاي كما أَبصر من بين يديَّ » .

رؤيتـه الملائكة والشياطين

ـ والأخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلىالله عليه وسلـَّم الملائكة(٤) والشياطين(٥) .

رفع النجاشي له ورؤيتـه بيت المقدس والكعبة

ـ ورُفع النجاشيُّ له حتى صلـَّى عليه(٦) .

ـ وبيتُ المقدس(٧) حين وصفه لقريش .

---

(١) مثله لفظا ومعنى .
(٢) لعبد الرزاق والحاكم .
(٣) وفي رواية اخرى لمسلم .
(٤) كما في رواية البخاري وغيره : « انه راى جبريل في صورته له ستمئة جناح على كرسي بين السماء والأرض قد سد الافق .. » وقد راى كثيرا منهم ليلة الاسراء .
(٥) حديث البخاري : « ان عفريتا تفلت عليّ البارحة في صلاة المغرب وبيده شعلة من نار ليحرق بها وجهي ، فامكنني الله منه فذعته ، ثم اردت ان اربطه بسارية من سواري المسجد ، فذكرت دعوة اخي سليمان ـ وفي رواية ـ لولا دعوة اخي سليمان لأصبح يلعب به ولدان المدينة » .
(٦) رواه الشيخان وغيرهما ، وبه استدل الشافعي واحمد على جواز الصلاة على الغائب . وذهب مالك وابو حنيفة الى عدم الجواز . وروى ابن حبان في صحيحه من حديث عمران بن حصين : « انه صلى الله عليه وسلم قال : « ان اخاكم النجاشي توفي فقوموا وصلوا عليه ، فقام عليه الصلاة والسلام وَصَفّوا خلفه فكبر اربعا وهم لا يظنون ان جنازته بين يديه » .
(٧) كما في الصحيحين .

صرع رُكانة

وقد جاءت الأخبار(١) بأنه صرع رُكانة ، أَشد أَهل وقته وكان دعاه الى الاسلام(٢) .

سرعة مشيه صلى الله عليه وسلم

وقال أبو هريرة(٣) :«ما رأَيت أحداً أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه ، كأنما الأرض تُطوى له ، إِنَّا لنجهد أنفسنا، وهو غير مكترث » ، وفي صفته عليه الصلاة والسلام :

ضحكه كان تبسماً

« أنَّ ضَحِكَه كان تبسُّماً ، إذا

مشيه كان تقلعا

التفت التفت معاً ، وإذا مشى مشى تَقَلُّعاً(٤) ، كأنَّما ينحطُّ من صَبَبٍ(٥) » .

---

(١) كخبر أبي داود والترمذي .
(٢) قال الترمذي : إسناده ليس بالقائم ، وقال البيهقي مرسل جيد . وروي باسناد موصولا ، الا أنه ضعيف .
(٣) كما رواه الترمذي في شمائله والبيهقي في دلائله .
(٤) رواه الترمذي في الشمائل . والتقلع : رفع الرجلين رفعا بائنا بدون اختيال .
(٥) الصَّبَب : بتشديد الصاد وفتح الباء : ما انحدر من الارض .

الفصــل الخــامس

فصاحة لسانه وبلاغته صلى الله عليه وسلم

فصاحة لسانه وبلاغته صلى الله عليه وسلم

وأمَّا فصـــاحة اللســـان ، وبلاغة القول ، فقد كان صلى اللهَّ عليه وسلم من ذلك بالمحَــل الأفضــل ، والموضع الذي لا يُجْهــل ، سلاسةُ طبع ، وبراعةَ مَنْزَع، وإيجازَ مقطع، ونصاعةِ لفظِ ، وجـزالةَ قــول ، وصحَّةَ معانٍ وقــلة تكلُّفٍ .

يخاطب كل أمة بلسانها

ـ أُوتي جوامعَ الـكلم ، وخُصَّ ببدائع الحِـكم ، وعُلِّمَ أَلسِنَةَ العـرب ، فـكان يخاطبُ كلَّ أُمَّة منها بلسانهــا ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها في مَنْزَع بلاغتها ، حتى كان كثير من أَصحابه يســألونه في غير موطن عن شرح كلامه ، وتفسير قوله .

ـ من تأَمل حديثــه ، وســيره ، علم ذلك وتحقَّقه .

ـ وليس كلامه مع قــريش والأَنصــار ،

كــلامه مع ذي المشعار الهمداني وغيره من امراء حضرموت

وأهــل الحجــاز ، ونجــد ، ككلامه مــع « ذي المشــعار الهَمْــداني » و « طِهْفَةَ النَّهْــدي » و « قَطَن بن حارثة العُلَيْمي » و « الأَشعث بن قيس » و « وائل بن حُجْر الكِنْدي » وغيرهم من أقيال(١) حضرموت وملوك اليمن .

وانظر كتــابه إلى همــدان : (إنَّ لــكم

كتــــابه الى همدان

فِـراعَـها(٢) وَوِهاطَها(٣) وعَزَازَها(٤) تأكلون عِـلافهــا(٥) ، وترعون عَفَــاءها(٦) ، لنا من دِفئهـــم(٧) ، وصِرامهـــم(٨) ما سلَّمــوا(٩) بالميثــاق(١٠) والأمانة ، ولهــم من الصــدقة الثِلْب(١١) والنــاب(١٢) ، والفصــيل(١٣) ، والفــارض(١٤) ، والداجــن(١٥) ، والــكبش

(١) الاقيال : الامراء .. جمع قيل بفتح فسكون .
(٢) فِراعها : بكسر الفاء . ما ارتفع من الارض جمع فرعة بفتح فسكون .
(٣) وِهاطها : بكسر الواو . الارض المطمئنة . جمع وَهطة بفتح فسكون وهي الوهدة.
(٤) عَزازها : ما خشن وصلب منها بفتح مهملة فزاءين .
(٥) علافها : ما تاكله الماشية . بكسر العين جمع علف كجبل وجبال .
(٦) عفاءها : ما ليس لاحد فيه ملك . بفتح العين وروي بكسرها .
(٧) الدفء : نتاج الابل وألبانها (ومنه قوله تعالى : « لكم فيها دِفء » اي ما تستدفئون به من أصوافها) والاظهر هنا أنه كناية عن الانعام .
(٨) صِرامهم : نخيلهم أو ثمرهم جمع صيرمة بكسر الصاد وهي القطعة من النخل .
(٩) سلموا : استسلموا .
(١٠) الميثاق : الاسلام . أو العهد .
(١١) الثلب : بكسر المثلثة . الهرم من الابل الذي سقطت اسنانه وتناثر هلبذنبه.
(١٢) الناب : انثى الابل التي طال نابها . وذلك من امارات هرمها .
(١٣) الفصيل : ولد الابل الذي فصل عن امه وفطم .
(١٤) الفارض : المسن من الابل أو البقر .
(١٥) الداجن : ما يالف البيوت ولا يذهب الى المرعى .

الحـــواري(١) ، وعليهـــم فيهـــا الصـــالغ(٢) والقارح(٣) ...

قـــوله لنهـــد

وقـــوله لنهـــد(٤) : « اللّهُـمَّ بارك لهم في مَحْضِـــها(٥) ، ومَخْضِـــها(٦) ، و مَذْقهـــا(٧) ، وابعث راعيهـــا في الدَّثْـــر(٨) ، وافجُر لـــهُ الثَّمَد(٩) وبارك لهم في المال والولد .

من أقام الصـــلاة كان مسلمـــاً ، ومن آتى الزكاة كان محسناً ، ومن شهد أن لا إله إلا اللّه كان مخلصاً .

لـــكم يا بني نهـــد ودائـــع(١٠) الشريك ، ووضائع(١١) المِلك ، لا تُلطِـط(١٢) في الزكاة،

(١) الكبش الحواري : الذي يتغذ من جلده نطع ، وروي الذي جلده أحمر وقيل أبيض .
(٢) الصالغ : ما دخل في السنة السادسة من البقر والغنم والمراد هنا أنه اذا وجد عندهم هذا النوع يؤخذ منه ما ليس هرماً ولا معيباً .
(٣) القارح : ما دخل من الخيل في السنة الخامسة .
(٤) نهد : قبيلة باليمن أرسلت وفدها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم برئاسة طهفة النهدي الذي سبق ذكره .
(٥) محضها : لبنها الذي لم يخالطه ماء .
(٦) مخضها . ما مخض من لبنها وأخذ زبده .
(٧) مذقها : ما خلط من لبنها بالماء .
(٨) الدثر : المال الكثير .
(٩) الثمد : المال القليل .
(١٠) ودائع : جمع وديع أي العهد والميثاق .
(١١) وضائع : الوظائف . جمع وظيفة وهي التي تلزم المسلمين في أملاكهم من صدقة وزكاة .
(١٢) تلطط : تمنع . والكلام هنا مستانف لم يرد به واحد معين .

ولا تلحد(١) في الحياة ، ولا تتثاقل عن الصلاة

وكتب لهم : في الوظيفة الفريضة(٢) ولكم الفارض والفَريش(٣) ، وذ العنان(٤) الركوب ، والفَلُوّ(٥) الضَّبيس(٦) ، لا يُمنع سرحكم(٧) ، ولا يُعضد(٨) طلحكم(٩) ، ولا يُحبس دَرّكم(١٠) ، مالم تُضمروا الرِّماق(١١) وتأكلوا الرِّباق(١٢) .

ومن أَقَرَّ فله الوفاء بالعهد ، والذمة . ومن أبى فعليه الرِّبوَة(١٣) .

كتابه لوائل ابن حجر

ومن كتابه لوائل بن حُجْر : « إلى الأقيال

(١) تلحد : تميل .

(٢) الفريضة : هنا المفروضة . أي عليكم في الوظيفة ـ وهي كل نصاب ـ ما فرض فيه.

(٣) الفريش : الحديثة العصر بالنتاج ...

(٤) ذو العنان : أي الفرس . الركوب : بفتح الراء المهملة أي الذلول الذي يلجم ويركب بلا مشقة لتكرر ركوبه .

(٥) الفلو : ولد الفرس ، وهو بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو .

(٦) الضبيس : الصعب والعسر الأخلاق .

(٧) سرحكم : ماشيتكم التي تسرح ...

(٨) تعضد : يقطع .

(٩) الطلح : شجر كبير من أشجار الشوك حسن اللون والريح .

(١٠) دركم : الماشية التي تذهب للرعي وتدر لبنا اي لا تمنع من الرعي .

(١١) الرماق : النفاق . بكسر الراء المهملة .

(١٢) الرباق : في الاصل عروة الحبل ، يربط بها ما خيف ضياعه . وهنا استعارها لنقض العهد ـ بالكسر جمع ربقة .

(١٣) الربوة : الزيادة في الفريضة عقوبة له . وهذا الحديث رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة . والديلمي في مسند الفردوس . وهناك رواية توضح المعنى المراد (ومن اقر بالجزية فعليه الربوة) اي من امتنع من الزكاة كان عليه من الجزية اكثر مما يجب عليه من الزكاة .

لعباهلة(١) ، والأَرواع(٢) المشابيب(٣) .

وفيه : في التِّيعة(٤) شاة ، لا مُقْورَّة(٥) لأَلياط(٦) ولا ضِناك(٧) ، وأنطوا(٨) لثَبِجَة(٩) .

وفي السُّيُوب(١٠) الخُمس . ومن زنى مِم(١١) بِكر فاصقعوه(١٢) مائة ـ استوفضوه(١٣) عاماً ، ومن زنى مِم ثيِّب ضرِّجُوه(١٤) بالأضاميم(١٥) ولا توصيم(١٦) ي الدين ، ولا غُمَّة(١٧) في فرائض الله ، وكل

---

(١) العباهلة : ملوك اليمن الذين أقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه .
(٢) الأرواع : حسان الوجوه . جمع رائع كالأنصار والأشهاد جمع ناصر وشاهد .
(٣) المشابيب : جمع مشبوب أي الرؤوس السادة .
(٤) التيعة : الاربعين من الغنم . بكسر التاء المثناة .
(٥) مقورة : الاقوار الاسترخاء في الجلد .
(٦) الألياط : الجلود من لاط أي لصق والأصل وهو قشر الشجرة . جمع ليط كسر اللام وهو قشر العود والمقصود « مسترخية الجلد لهزالها » .
(٧) ضناك : ممتلئة اللحم مكثرة الشحم .
(٨) انطوا : لغة يمانية وهي : أعطوا .
(٩) الثبجة : الشاة الوسطى .
(١٠) السيوب : جمع سيب وهو الركاز بمعنى مركوز وهو المال المدفون الجاهلي .
(١١) مم : من بابدال النون ميماً .
(١٢) اصقعوه ، اضربوه .
(١٣) استوفضوه : أنفوه .
(١٤) ضرجوه:لطخوه بدمائه أي بواسطة الرجم .
(١٥) الاضاميم : جمع اضمامة أي الحجارة .
(١٦) توصيم : من الوصم بالصاد المهملة وهو العيب أي لا عيب ولا عار في اقامة حدود الله .
(١٧) غمة : لا تردد ولا حيرة وفي رواية (كمة) اي ستر وغطاء .

مسكر حرام ووائل بن حجر يترفَّل(١) على الأَقيال ...

أين من كتابه(٢) لأَنس في الصدقة المشهور لـمّا كان كلام هؤلاء على هذا الحد ، وبلاغتهم على هذا النمط ، وأَكثر استعمالهم هذه الأَلفاظ ، استعملها معهم ، لِيُبَيِّنَ للناس ما نُزِّل إليهم ، وليحدث الناس بما يعلمون ...

حديث عطية السعدي

وكقوله في حديث(٣) عطية السَّعدي : « فإِن اليَد العُليا هي المنطية ، واليد السُّفلى هي المنطاة » .

قال : فكلَّمَنا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم بلغتنا .

حديث العامري

وقوله(٤) في حديث العامري(٥) : حين

(١) يترفل : يترأس ، وكتابه هذا اخرجه الطبراني في الصغير والخطابي في الغريب
(٢) كما رواه البخاري والترمذي والدارقطني وختمه ولم يدفعه له فدفعه أبو بكر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم له حين وجهه الى البحرين وأمره أن يعمل به . واول الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والتي أمر الله بها رسوله فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعط في أربع وعشرين من الابل فما دونها من الغنم من كل خمس شاة" اذا بلغت خمسا وعشرين الى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض ... الخ) .
(٣) رواه الحاكم وصححه البيهقي .
(٤) على ما ذكره أبو نعيم في دلائله .
(٥) نسبة لقبيلة بني عامر ، وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعامري هنا اسمه عطية ، وقيل لقيط بن عامر بن المنتفق ، توفي في حدود الثمانين .

ساله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « سَل عنك » أي سَل عمّا شئت . وهي لغة بني عامر .

كلامه المعتاد

ـ وأمّا كلامه المعتاد ، وفصاحته المعلومة، وجوامع كَلِمِه ، وحِكَمه المأثورة ، فقد ألّف الناس فيها الدواوين ، وجمعت في ألفاظها ، ومعانيها الكتب ، ومنها ما لا يُوازى فصاحة، ولا يُبارى بلاغة .

نماذج من بلاغته وفصاحته وجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم

كقوله(١) : « المسلمون تتكافَؤُ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

وقوله(٢) : « الناس كأسنان المُشْط » .

ـ « المرءُ مَعَ مَن أحبَّ(٣) » .

ـ « لا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له(٤) » .

---

(١) على ما رواه أبو داوود والنسائي .
(٢) فيما رواه ابن لال في مكارم الاخلاق .
(٣) رواه الشيخان .
(٤) فيما رواه ابن عدي في كامله بسند ضعيف .. واوله : « المرء على دين خليله ولا خير ... » .

ـ « الناس معادن(١) » ـ « ما هلك امر
عـرَف قدره(٢) » .
ـ « المستشار مؤتمـن وهو بالخيـار مال
يتكلم(٣) » .
ـ « رحم الله عبداً قال خـيراً فغـنم ، أو
سكت فسلِم(٤) » .
ـ وقوله : « أَسلم تَسلم ..وأَسلم يؤتك
الله أجرك مرتين(٥) » .
ـ « إنَّ أَحبَّكم إليَّ وأقربكـم مني
مجالس يوم القيـامة أَحاسنُكم أَخـلاقاً
الموطَّؤون أكنافاً ، الذين يألفون ويُؤلفون(٦) » .
وقوله : « لعله كان يتـكلم بما لا يعنيـ
ويبخل بما لا يغنيه(٧) » .

(١) فيما رواه الشيخان وبقيته : « ... كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ... » .
(٢) رواه السمعاني في تاريخه بسند فيه مجهول .
(٣) الحديث رواه الأربعة والحاكم والترمذي أيضا في الشمائل في قضية أبي الهيثم وفي بعض الروايات زيد فيه « وهو بالخيار مالم يتكلم » وفي رواية احمد « وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت ، فان تكلم فليجتهد رأيه » .
(٤) رواه أبو الشيخ في الثواب ... والديلمي .
(٥) قوله : « أسلم تسلم » متفق عليه بين الشيخين ، وبقيـة الحـديث عند مسلم وللبخاري في الجهاد ... « اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين » .
(٦) رواه الترمذي .
(٧) رواه البيهقي في شعبه ، واخرج نحواً من هذا الترمذي ذلك أن رجلا من الصحابة استشهد بأحد فقالت له أمه لِتَهْنِئْكَ الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها (ما يدريك ...)

وقوله : « ذو الوجهين لا يكون عند الله
جيهاً(١) » .

ونهيه(٢) عن «قيلَ وقال ، وكثرةالسؤال،
إضاعة المال ، ومنع وهات ، وعقوق الأمهات
وأد البنات . . »

وقوله : « اتق الله حيثما كنت ، وأَتبع
لسيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخُلُق
حسن(٣) . . »

ـ « خير الأمور أَوساطها(٤) » .

وقوله(٥) : « أحبب حبيبك هوناً ما ، عسى
ن يكون بغيضك يوماً ما » .

وقوله(٦) : «الظلم ظلمات يوم القيامة» .

بعض دعائه صلى الله عليه وسلم

وقوله(٧) في بعض دعائه(٨) : «اللّهمَّ إنّي
َسألك رحمة من عندك ، تهدي بها قلبي ،

(١) رواه الشيخان . وأخرج أبو داوود : «ذو الوجهين في الدنيا ذو لسانين في النار».
(٢) فيما رواه الشيخان .
(٣) رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي ذر رضي الله عنه .
(٤) رواه ابن السمعاني في تاريخه .
(٥) فيما رواه الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، والبخاري في
لأدب المفرد .
(٦) رواه الشيخان .
(٧) فيما رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما .
(٨) لما فرغ من صلاة الجمعة .

وتجمع بهــا أمري ، وتلُمُّ بهــا شَعَثي(١)
وتصلح بها غائبي(٢) ، وترفع بها شاهدي(٣)
وتزكي بهــا عملي ، وتلهمني بهــا رشدي
وترد بها أُلفتي ، وتعصمني بها من كل سوء
اللَّهُمَّ إنِّي أَســألك الفوز عند القضــاء
ونُــزُلَ الشــــهداء ، وعيشَ الســعداء
والنصر على الأعداء ... »

الى ما روته الــكافَّة(٤) عن الــكافَّة ، مر
مقاماته ، ومحاضراته . وخطبه ، وأَدعيته
ومخاطباته وعهــوده ، مما لا خلاف أنَّه نزا
من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره ، وحاز فيهـ
ســبقاً لا يُقَــدَّر قَــدْرُه ؛ وقــد جُمِعَت مر
كلماته ، التى لم يسبق إليها ، ولا قــدر أحـ
أَن يفرغ في قالبِهِ عليها .

اساليب جديدة

كقوله(٥) : « حَمِيَ الوطيس » .

---

(١) اي تلم برحمتك وتجمع ما تشعث وتفرق من امري . قال الجوهري : الشعث انتشار الامر يقال : لم الله شعثك اي جمع أمرك .
(٢) اي باطني .
(٣) اي ظاهري .
(٤) أي فيما رواه كثير من الناس لا يحصون . فكافة بمعنى جميعاً . واريد بها الكثر اذ لم يروه جميع الناس ، ولا جميع المحدثين لكنه لما شاع وذاع . فكانه كذلك .
(٥) اي : يوم حنين على ما رواه مسلم والبيهقي : وقد فسر الوطيس بضراب العرا واراد المعنى المجازي والوطيس في الاصل التنور شبه به الحـرب لاشتعال نارها وشا ايقانها .

« مات حَتفَ أَنفه(١) » .

« لا يُلْدغ المؤمن من جحر مرتين(٢) » .

« السعيد من وُعِظَ بغيره(٣) » .

وفي أَخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمونها ، ويذهب به الفكر في أَداني حِكَمِها .

وقد قال له أَصحابه(٤) : ما رأينا الذي هو أفصح منك ...

فقال : « وما يمنعني ؟!! وإنَّما أُنزِلَ القرآن بلساني ، لسانٍ عَربي مُبين » . سر فصاحته

وقال مرة أخرى(٥) : « أَنا أَفصح العرب،

(١) رواه البيهقي في شعب الايمان ، ولفظه : « من مات حتف انفه فقد وقع أجره على الله . والمعنى : هو الذي مات من غير ضرب ولا قتل ولا حرق ولا غرق . والحتف هو الهلاك، وقيل :كانت العرب تتوهم أن روح المريض تخرج من انفه . وروح المجروح من جراحته . فكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم على قدر عقولهم ، وقال عبد الله بن عتيك:فوالله ما سمعت قوله : « حتف أنفه » من أحد من العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا عدها المصنف ـ رحمه الله ـ من كلامه الذي ابتدعه . وهو المشهور .

(٢) كما رواه البخاري وغيره .

(٣) رواه الديلمي .

(٤) كما رواه البيهقي في شعب الإيمان .

(٥) كما رواه أصحاب الغرائب . ولا يعرف له سند . وروى الطبراني « أنا اعرب العرب وَلدت في قريش . ونشات في بني سعد . فانى ياتيني اللحن ؟! » .

بَيد أَني من قريش ونشأت في بني سعد » .

جمع في كلامه جزالة البادية ورونق الحاضرة

فجُمِع له بذلك ، صلى الله عليه وسلم قوة عارضة (١) البادية وجزالتُها(٢) ، ونصاعةُ(٣) ألفاظ الحاضرة ورونَق(٤) كلامها ، الى التأييد الالهي الذي مددُه

امداد الوحي له

الوحي الذي لا يُحيط بعلمه بشريُّ(٥) » .

وقالت أُمُّ مَعْبَدٍ في وصفها له :

وصف أم معبد لمنطقه

« حلو المنطق ، فصل(٦) ، لا نَزْر(٧) ، ولا هَذْر(٨) كأنَّ منطقَه خَرَزاتٌ(٩) نُظِمْنَ وكان جهير الصوت(١٠) ، حَسَنَ النغمة صلى الله عليه وسلم .

(١) عارضة : حلاوة .
(٢) الجزالة : ضد الركاكة .
(٣) نصاعة : خلوص ألفاظها من الخلط .
(٤) الرونق : الحسن .
(٥) بشري : اي منسوب للبشر .
(٦) فصل : مفصول مبين .
(٧) نزر : يسير .
(٨) هذر : كثير .
(٩) الخرز : ما ينظم من الجواهر .
(١٠) وكانت العرب تمتدح بعلو الصوت وتذم بضده . ولذا تمدحوا بسعة الفم وذمو بصغره والجهير : العالي الصوت فليس فيه خفاء ولا ينكسر ككلام النساء .

الفصل السادس

شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم

وأَما شرف نسبه ، وكرم بلده ، ومنشئه فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ، ولا بيان مشكل ، ولا خفيٍّ منه .

نخبة بني هاشم مكة وكرمها

فإنه نُخبةُ بني هاشم ، وسُلالةُ قريش وصميمُها ، وأشرفُ العرب وأعزُّهم نفراً من قبل أَبيه وأمه ، ومِن أَهل مكة ، من أكرم بلاد اللهِ على الله ، وعلى عباده .

خير القرون قرن النبي صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه ، أنَّ رسول اللهَ صلى اللهُ عليه وسلَّم قال : « بُعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ، حتى كنت في القرن الذي كنت منه(١) » .

وعن العباس رضي اللهَ عنه قال : قال النبي

(١) حديث صحيح انفرد البخاري بإخراجه .

صلى اللهَ عليه وسلَّم(١) : « إنَّ اللهَ خلق الخلق فجعلني من خيرهم ومن خير قرنهم ، ثم تخيَّر القبائل ، فجعلني من خير قبيلة . ثم تخيَّر البيوت ، فجعلني من خير بيوتهم . فأنا خيرُهم نفساً ، وخيرُهم بيتاً » .

خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً

وعن واثلة بن الأسقع رضيَ اللهَ عنه ، قال : قال رسول اللهَ صلى اللهَ عليه وسلَّم : « إنَّ اللهَ اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

قال الترمذي : وهذا حديث صحيح(٢) .

(١) كما رواه البيهقي في دلائل النبوة . والترمذي وحسّنه .
(٢) وقد اخرجه مسلم في صحيحه .

الفصل السابع

حالته صلى الله عليه وسلم في الضروريات

وأمّا ما تدعوه ضرورة الحياة إليه . ممّا فصّلناه فعلى ثلاثة أضرُب :

- ضربٌ الفضلُ في قلّته .
- وضربٌ الفضلُ في كثرته .
- وضربٌ تختلفُ الأحوالُ فيه .

ما يتمدح بقلته

أ ـ فأمّا ما التمدح والكمال بقلته ، اتفاقاً ، وعلى كل حال ، عادة وشريعة ، كالغذاء ، والنوم ...

كثرة الاكل دليل على النهم والحرص

ولم تَزَلِ العَرَبُ والحكماءُ تتمادح بِقِلّتهما ، وتذم بكثرتهما لأن كثرةَ الأكلِ والشُّرب دليلٌ على النَّهَم والحِرصِ والشَّرَه ، وغَلَبةِ الشَّهوةِ مسببٌ لمضارِّ الدنيا والآخرة ، جالِبٌ لأدواءِ الجَسَد ،

قلته دليل على القناعة

وخُثَارة(١) النَّفس ، وامتلاءِ الدماغ . وقِلَّتَه ، دليلٌ على القناعة وملكِ النفسِ .

وقمع الشهوةِ مُسببٌ للصحة ، وصفَاء الخاطر ، وحدَّةِ الذهن . كما أن كثرةَ النَّوم دليل'' على الفُسُولة(٢) والضَّعف ، وعدم الذكاء والفطنَة مسببٌ للكسل ، وعادة العَجز ، وتضييعِ العُمُر في غير نفع وقساوة القلب ، وغفلته وموته .

كثرة النوم دليل على الفسولة

والشاهدُ على هذا : ما يُعلَمُ ضَرورةً ، ويُوجَدُ مشاهدَةً ، ويُنقَلُ متواتِراً ، من كلامِ الأمَمِ المُتَقدمة ، والحكماء السالفين ، وأشعارِ العربِ وأخبارها وصحيح الحديث ، وآثار من سلفِ وخلف ممَّا لا يَحتَاجُ إلى الاستشهاد عليه ، وإنَّما تركنا ذكره هنا ، اختصاراً واقتصاراً على اشتهار العلم به .

الشاهد على هذا

وكان النبي صلى الله عليه وسلَّم قد أخَذَ من هذين الفنين بالأقَل ... هذا ما لا يُدفع من سيرته ، وهو الَّذي أمَرَ به ، وحضَّ عليه ، لا سيَّما بارتباط أحدهما بالآخر .

اخذ بالاقل منهما

(١) خثارة النفس : ثقلها وعدم نشاطها .
(٢) الفسولة : كل مسترذل رديء وكسل النفس .

البطن شر وعاء يملأ

عن المِقدام بن معدِي كَرِب رضي اللهُ عنه : أَنَّ(١) رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال : « ما ملأ ابنُ آدمَ وعاء شراً من بَطنه ، حسبُ ابنِ آدمَ أُكُلات(٢) يُقِمنَ صُلبَه ، فإن كانَ لا محالَة ، فثُلثٌ لطعامه ، وثُلثٌ لشرابِه وثُلُثٌ لنَفَسِه » .

ولأن كثرة النَّوم من كثرة الأكل والشرب.

كثرة النوم من كثرة الطعام والشراب

قال سفيانُ الثَّوري : بقلة الطعام يملك سهر الليل .

وقال بعض السَّلَف : لا تأكُلُوا كثيراً ، فتشربُوا كثيراً فتَرقُدُوا كثيراً ، فتَخسرُوا كثيراً .

من نام كثيرا خسر كثيرا

وقد رُوي(٣) عنه صلى اللهُ عليه وسلَّم أنه: « كان أحب الطعام إليه ما كان على ضَفَفٍ » أي كثرة الأيدي .

لم يمتلىء جوفه شبعا

وعن عائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها : لَم(٤)

(١) رواه الترمذي والنسائي وابن حبان ، واخرجه المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ عن الطبراني ، ولم يروه عن الترمذي لان سنده لمعجم الطبراني اعمل من غيره ، والحديث صحيح .
(٢) اكلات : بضمتين وقد تفتح الكاف وتسكن جمع اكلة بضم الهمزة وسكون الكاف اسم لما يؤكل .
(٣) ورواه جمع كابي يعلى وغيره عن انس وجابر رضي الله عنهما بسند جيد .
(٤) قال الديلمي : لم اعرف من رواه . ويوجد شبهه في الجملة في حديث مسلم .

لا يسأل الطعام

يمتلِىء جوفُ النبي صلى اللهَّ عليه وسلم شِبَعاً قَطُّ ، وإنَّه كان في أهله لا يسألُهم طعاماً ولا يتشهَّاهُ إن أطعَمُوهُ أكَلَ ، وما أطعمُوه قَبِلَ ، وما سقَوهُ شرِبَ ..

اعتراض بحديث بريرة

ــ ولا يُعتَرضُ على هذا بحديث بَريرةَ وقوله(١) :

« ألَم أرَ البُرْمة(٢) فيها لحم » .

الجواب عنه

ــ إذ لعلَّ سببَ سؤاله ظنُّه صلى اللهَّ عليه وسلَّم اعتقادَهُم أنَّه لا يَحِلُ لَهُ ، فأراد بيان سُنَّتِه ، إذ رآهُم لم يقدِّموه إليه مع علمه أنَّهم لا يستأثرون عليه به ، فصدَّقَ عليهم ظنُّه وبيَّنَ لهم ما جهلُوه من أمره بقوله : « هو لها صدقة ، ولنا هدية » .

وفي حكمة لقمان عليه السلام : يا بُنيَّ إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرِست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

---

(١) فيما رواه الشيخان (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل بيته والبُرمة تفور باللحم فقرَّبوا له خبزاً وإداماً من إدام البيت فقال : ألم ار البُرمة فيها لحم فقالوا: بلى يارسول الله ولكن هو لحم تُصدِّق به على بريرة وانت لا تاكل الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لها صدقة ولنا هدية) .

(٢) البُرمة : القدر .

وقال سَحْنون : لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع .

وفي صحيح الحديث(١) قوله صلى الله عليه وسلم : « أمّا أنا فلا آكل متكئاً » .

الاتكاء هو التمكن للأكل

« والاتكاء » : هو التّمكن للأكل ، والتقعدد(٢) في الجلوس له كالمتربع ، وشبهه من تمكّن الجلسات . التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته ... والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه .

ـ والنبي صلى الله عليه وسلّم إنّما كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعياً(٣) ويقول(٤) : « إنّما أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » .

وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين .

---

(١) كما رواه البخاري .
(٢) والتقعدد : تفعلل من القعود ومعناه التثبت والتمكن من القعود .
(٣) الاقعاء : الصاق الأليتين بالأرض ونصب الساقين والفخذين والصاقهما بالصدر حديث « انه كان يأكل مقعياً » أخرجه مسلم .
(٤) كما رواه البراء عن ابن عمر بسند ضعيف ، وأبو بكر الشافعي في فوائده من حديث البراء إلى قوله كما يأكل العبد . وبقية الحديث من رواية ابن سعد وأبي يعلى بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً . وزاد الديلمي وابن ابي شيبة وابن عدي: « واشرب كما يشرب العبد » .

نومه كان قليلاً

ـ وكذلك نومه صلى اللهَّ عليه وسلّم كان قليلاً ، شهدت بذلك الآثارُ الصحيحةُ .

ومع ذلك فقد قال صلى اللهَّ عليه وسلم :

« إنَّ عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي »(١) .

النوم على الجانب الأيمن وحكمته

ـ وكان نومه على جانبه الأيمن استظهاراً على قلة النوم ، لأنه على الجانب الأيسر أهنأ لهدوء القلب ، وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة حينئذ لميلها إلى الجانب الأيسر ، فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول ، وإذا نام النائم على الأَيمن تعلق القلب وقَلِق ، فأسرع الإفاقة ولم يغمُرْه الاستغراق .

(١) كما رواه الشيخان .

الفصل الثـامن

زواجه صلى الله عليه وسلّم وما يتعلّق به

أمّا النكاح ، فمتّفقٌ فيه شرعاً وعادةً . فإنه دليل الكمال وصحّة الذكوريّة ، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة ، والتمادح به سيرة ماضية .

النكاح دليل الكمال والصحة عقلاً

شرعاً

وأما في الشرع فسُنّة مأثورة .

وقد قال صلى اللّه عليه وسلم(١) : «تناكحوا تناسلوا ، فإنّي مُباهٍ بكم الأُمم ، ونهى عن التّبتُّل(٢) ، مع ما فيه من قمع الشّهوة ، وغضّ البصر ، اللذين نبّه عليهما صلى اللّه عليه وسلّم بقوله(٣) : « من كان ذا طَول فليتزوج، فإنّه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج».

النهي عن التبتل

(١) كما ذكر ابن مردويه في تفسيره عن ابن عمر مرفوعا بسند ضعيف وذكر مثله الطبراني في الأوسط .

(٢) كما رواه الشيخان .

(٣) كما رواه الطبراني . واخرجه الشيخان بلفظ : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج ... » .

لا يقدح الزواج في الزهد

ـ حتى لم يره العلماء مما يقدحُ في الزهد ،

قال سهل بن عبد الله : قد حُبِّبْنَ إلى سيد المرسلين فكيف يُزَهَّدُ فيهن ؟!!

وقد كره غيرُ واحدٍ أن يلقى الله عزباً .

اعتراض

يحيى الحصور

فإن قيل : كيف يكون النكاح ، وكثرته من الفضائل ، وهذا يحيى بن زكريا عليه السلام ـ قد أثنى الله تعالى عليه أنَّه كان حصوراً فكيف يثني الله عليه بالعجز عما يُعَدُّ فضيلة .

تبتل عيسى عليه السلام

ـ وهذا عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ تبتَّل عن النساء..ولو كان كما قررته لنكح..

جواب الاعتراض

فاعلم : أن ثناء الله تعالى على يحيى ، بأنَّه حصور ، ليس كما قال بعضهم .. إنَّه كان هَيُوباً(١) ، أو لا ذَكَرَ له ... بل قد أنكر هذا حُذَّاق(٢) المفسرين ونُقَّاد العلماء ، وقالوا :

هذه نقيصة وعيب ، ولا تليق بالأنبياء عليهم السلام .

---

(١) هيوبا : المراد هنا جبانا عن النكاح .
(٢) حذاق : جمع حاذق وهو الماهر .

ـ وإنّما معناه أنّه معصوم من الذنوب ، أي لا يأتيها كأنّه حصر عنها ..

وقيل : مانعاً نفسه من الشهوات .

وقيل : ليست له شهوة في النساء .

ـ فقد بان لك من هذا ، أن عدم القدرة على النكاح نقصٌ .

ـ وإنّما الفضل في كونها موجودةً ثُمّ قمعها ، إمّا بمُجاهدةٍ كعيسى ـ عليه السلام ـ ، أو بكفاية من الله تعالى كيحيى ـ عليه السلام ـ ، فضيلةً زائدةً لكونها شاغلةً في كثير من الأوقات ، حاطّةً إلى الدنيا .

فضيلة زائدة

ـ ثم هي في حق من أُقْدِرَ عليها ومُلّكَها ، وقام بالواجب فيها ولم تشغلْه عن ربّه درجةٌ علياء ، وهي درجة نبيّنا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثْرتُهُنَّ عن عبادة ربّه ، بل زاده ذلك عبادة لتحصينهنَّ ، وقيامه بحقوقهنَّ ، واكتسابه لهنَّ ، وهدايته إياهُنَّ .

لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زادته عبادة

ـ بل صرّح أنها ليست من حظوظ دنياه هو ، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره .

فقـال عليـه الصلاة والسلام : « حُبِّبَ إليَّ من دنياكم »(١) .

حبه للنساء والطيب ليس لدنياه بل لآخرته

فدل أن حبَّه لما ذُكِرَ من النساء والطيب ، اللذين همـا من أمر دنيـا غيره ، واستعماله لذلك ليس لدنياه ، بل لآخرته .

ـ وكان حِبُّه لهاتين الخصلتين لأجل غيره ، وقمعِ شـهوته . وكان حبُّه الحقيقيُّ المختصَّ بذاته في مشاهدة جـبروتِ مولاه ومناجاتهِ . ولذلك ميَّز بين الحُبَّين ، وفصل بين الحالين .

فقال : « وجُعِلَتْ قُرَّة عيني في الصَّلاة » .

ـ فقد ساوى يحيى وعيسى ـ عليهما السلام في كفاية فتنتهن ، وزاد فضيلة بالقيام بهن .

الجـــاه

ـ وأمَّا الجـاه فمحمودٌ عند العقلاء عادة . وبقدر جاهه عِظَمه في القلوب .

وقد قال تعالى في صفة عيسى ـ عليه السلام ـ : « وجيهاً في الدنيا والآخرة »(٢) .

---

(١) كما رواه الحاكم والنسـائي وبقيتـه « النساء والطيب وجُعِلت قُرَّة عيني في الصلاة » . وليس زيادة « ثلاث » في صحيح الروايات .
(٢) سورة آل عمران : آية ٤٥ .

لكن آفاته كثيرة ، فهو مضرٌّ لبعض النـــاس لعقبى الآخــرة ، فلذلك ذمَّه مَنْ ذمَّه ، وتمدَحَ ضِدَّه .

آفات الجـــاه

ـ وورد في الشرع(١) مــدحُ الخُمــول(٢) ، وذمُّ العُلوِّ (٣) في الأرض .

مكانته في القلوب قبل النبوة

ـ وكان صلى الله عليــه وسلَّم قد رُزق من الحشمة ، والمـكانة في القلوب والعظمة قبــل النبوة ، عند الجاهلية وبعدها ، وهم يكذبونه، ويؤذون أصحابه ، ويقصدون أذاه في نفســه خفية ، حتى اذا واجههم أعظموا أمره ، وقضوا حاجتــه ، وأخبــارُه في ذلك معروفة ســيأتي بعضها . وقد كان يُبهَتُ ويَفْرَقُ لرؤيته ، من لم يَرَهْ . كما روي عن قَيْلة : أنَّهــا لمــا رأته أُرْعِدت من الفَرَق(٤) فقال : «يا مسكينة عليك السكينة »(٥) .

هيبته في قلوب الناظرين اليه

(١) كحديث : «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » . وحديث : « ان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا » . أخرج الأول الترمذي والثاني ابن ماجه .

(٢) المقصود بالخمول كراهية الظهور .

(٣) كما في الحديث : « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف . لدينه » رواه الترمذي وأحمد .

(٤) وحديثها مذكور في شمائل الترمذي وفي سنن أبي داوود . وأخرجه ابن سعد بتمامه كما قال السيوطي .

(٥) وهذه زيادة ابن سعد .

وفي حديث أبي مسعود رضي اللهّ عنه : « أنَّ رجلاً قام بين يديه فأُرْعِد ـ فقال له : هوِّن عليك فإنّي لست بملِكٍ ... »(١) الحديث(٢) .

فأمّا عظيمُ قدره بالنبوَّة ، وشريفُ منزلته بالرسالة ، وإنافةُ(٣) رُتْبتِهِ بالاصطفاءِ والكرامةِ في الدنيا ، فأمرٌ هو مبلغُ النهاية . ثمَّ هو في الآخرة سيِّدُ ولدِ آدمَ(٤) ، وعلى معنى هذا الفصل نظمّنا هذا القسم بأسره .

(١) كما رواه البيهقي عن قيس مرسلاً . وقال: هو المحفوظ . ورواه الحاكم وصحّحَه .
(٢) ولم يذكره كله بطوله .
(٣) أي رفعة رتبته وزيادتها أو ظهورها .
(٤) كما في حديث البخاري .

الفصل التاسع

ما يتعلّق بالمال والمتاع

وأمّا الضربُ الثالثُ ، فهو ما تختلفُ الحالاتُ في التمدُّحِ به ، والتفاخُرِ بسببِهِ ، والتفضيل لأجله ، ككثرة المال ، فصاحبُه على الجملة معظَّمٌ عند العامة لاعتقادها توصُّلَه به إلى حاجاته ، وتمكُّنَ أغراضِه بسببِهِ ، وإلاَّ فليس فضيلةً في نفسه . فمتى كان المال بهذه الصورة ، وصاحبُه منفقاً له في مهماته ، ومهماتِ من اعتراه وأمَّله ، وتصريفِه في مواضعه . مشترياً به المعالي والثناءَ الحسنَ والمنزلةَ من القلوب ، كان فضيلةً في صاحبه عند أهل الدنيا .

العامة تعظم صاحب المال

ليس المال فضيلة بنفسه ولكن بما يشترى به من المحمدة

وإذا صَرفَهُ في وجوه البرِّ ، وأنفقَهُ في سُبُل الخير ، وقصد بذلك الله والدَّار الآخرة كان فضيلةً عند الكُلِّ بكُلِّ حالٍ .

ومتى كان صاحبُه مُمْسِكاً له ، غيرَ مُوجِّهِه

المال بالحرص والبخل كالعدم

وجوهَهُ ، حريصاً على جمعه . عادت كثرتُهُ كالعدم وكان منقصةً في صاحبه ، ولم يقِفْ به على جُدَدِ السَّلامةِ(١) ، بل أوقعَهُ في هُوَّةِ(٢) رذيلةِ البخل ، ومذمَّة النَّذالَةِ .

فإذاً التمدُّحُ بالمال وفضيلتُه عند مفضِّله ليست لنفسه ، وإنما هو للتوصُّلِ به إلى غيره ، وتصريفِه في متصرَّفاته ... فجامعُهُ إذا لم يضعه مواضعَهُ ، ولا وجَّهَهُ وجوهَهُ غيرُ مليءٍ(٣) بالحقيقةِ ، ولا غنيٍّ بالمعنى ولا ممتدَحٍ عند أحدٍ من العقلاء ، بل هو فقيرٌ أبداً ، وغيرُ واصلٍ إلى غرضٍ من أغراضه ، إذ ما بيده من المالِ الموصلِ لها لم يسلَّط عليه ، فأشبهَ خازنَ مالِ غيره ، ولا مالَ له فكأنَّهُ ليس في يده منه شيءٌ .

البخيل خازن مال غيره

والمنفِقُ مليءٌ غنيٌّ بتحصيله فوائدَ المال ، وإنْ لم يَبْقَ في يده من المال شيءٌ .

المنفق مليء

فانظر سيرةَ نبيِّنا صلى اللهُ عليه وسلَّم وخُلُقَهُ في المال تجدْهُ قد أُوتي خزائنَ

ما اوتيه صلى الله عليه وسلم من اموال الارض

---

(١) جدد السلامة : طرائق السلامة .
(٢) هوة : اي هاوية وهي ما بين الجبلين .
(٣) مليء : ثقة مضطلع .

الأرض ، ومفاتيحَ البلاد، وأُحِلَّت له الغنائم، ولم تحلَّ لنبيٍّ قبلَهُ ، وفُتِحَ عليه في حياته صلى اللهُ عليه وسلَّم بلادُ الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب ، وما داني ذلك من الشام والعراق ، وجلبت إليه من أخماسها ، وجِزْيتها ، وصدقاتِها ما لا يُجْبى للملوك إلاَّ بعضُه ، وهادَتْه(١) جماعةٌ من ملوك الأقاليم . فما استأثر بشيءٍ منه ولا أمسك منه درهماً . بل صرفه مصارفَهُ وأغنى به غيرَهُ ، وقوَّى به المسلمين ، وقال(٢) : « ما يَسُرُّني أنَّ لي أُحُداً ذهباً يبيت عندي منه دينارٌ ، إلا ديناراً أرصُدُه لِدَيْن(٣) » وأتَتْهُ دنانيرُ مرَّةً فقسَّمها . وبقيت منها سِتَّةٌ ، فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذهُ نومٌ حتَّى قام وقسَّمها ، وقال : « الآن استرحت »(٤) وماتَ ودرعُهُ(٥) مرهونةٌ في نَفَقَةِ عياله(٦) .

لم يمسك منه درهما

راحته بالنفقة

---

(١) هادته : أرسلت له الهدايا .
(٢) كما رواه الشيخان عنه .
(٣) وفي نسخة « لديني » .
(٤) رواه ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها .
(٥) اي عند يهودي هو ابو الشحم .
(٦) في نفقة عياله : أي إلى سنة في ثلاثين صاعاً من شعير على ما في البخاري والترمذي والنسائي . وفي البزار اربعين . وفي مصنف عبد الرزاق وسق شعير وهو ستون صاعاً .

زهده فيما سوى الضروري من نفقته وملبسه ومسكنه

واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه ، على ما تدعوه ضرورته إليه ، وزَهِدَ فيما سواه فكان يَلبَسُ ما وجده ، فيلبَسُ في الغالب الشَمْلَةَ(١) والكساءَ الخشنَ ، والبُرْدَ الغليظَ ويَقْسِمُ على من حَضَرَهُ أقبيةَ الدِّيباج(٢) المخوَّصَةَ(٣) بالذهب ، ويرفعُ لِمَنْ لم يحضُر .

المباهاة بالملابس ليست من خصال الشرف

إذ المباهاةُ في الملابس والتزيُّن بها ، ليست من خصال الشرف والجلالة ، وهي من سمات النساء .

المحمود نقاوة الثوب وكونه لبس مثله

والمحمودُ منها نَقَاوةُ الثوب ، والتوسُّط في جنسه ، وكونُه لُبسَ مثلِهِ غيرَ مُسقطٍ لمروءة جنسه ، مِمَّا لا يؤدي إلى الشهرة في الطَّرفين .

وقد ذمَّ الشرعُ ذلك ، وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس إنَّما يعود إلى الفخر بكثرة الموجود ، ووفور الحال .

وكذلك التباهي بجَوْدة المسكن ، وسعةِ المنزل وتكثيرِ آلاته وخدَمِهِ ، ومركوباتِهِ ، ومن مَلَكَ الأرض وجُبيَ إليه مافيها . وترك ذلك

---

(١) الشملة : كساء يشتمل به بان يديره على جسده كله لا يخرج منه يده .
(٢) بكسر الدال فارسي معرب جمعه ديابيج وهو الثوب المزين .
(٣) المخوصة : المنسوجة .

زهداً وتنزهاً ، فهو حائزٌ لفضيلةِ الماليَّةِ ومالكٌ للفخرِ بهذه الخَصلة ـ إن كانت فضيلة ـ زائدٌ عليها في الفخر ومُغْرِق في المدح بإضرابه عنها .. وزهده في فانيها وبذلها في مظانّها ...

الفصل العاشر

الأخلاق الحميدة

الخصال التي اتفق العقلاء على مدح صاحبها

وأمّا الخصالُ المُكْتَسَبَةُ من الأخلاقِ الحميدةِ، والآدابِ الشريفةِ . التي اتّفقَ جميعُ العقلاءِ على تفضيلِ صاحِبها . وتعظيمِ المتّصِفِ بالخُلُق الواحِدِ منها فضلاً عما فوقَه . وأثنى الشرعُ على جميعها وأمَرَ بها . ووعد السّعادةَ الدائمةَ للمتخلّق بها ووصف بعضَها بأنّه من أجزاء النُبوّة ، وهي المسمّاة بحُسن الخُلُق .

ثناء الشرع عليها

تعريف حسن الخلق

ـ وهو الاعتدال في قوى النفس، وأوصافها والتوسّط فيها . دون الميل إلى منحرِفِ أطرافها .

ـ فجميعُها قد كانت خُلُقَ نبيّنا صلى الله عليه وسلّم على الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها . حتى أثنى الله عليه بذلك .

فقال تعالى : « وإنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ »(١) .

كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن

قالت عائشة رضي الله عنها : « كان(٢) خُلُقُهُ القرآن ، يرضى برضاه ، ويسخطُ بسخطِهِ .

بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

وقال صلى اللهَ عليه وسلَّم(٣) : « بُعثت لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق » . قال(٤) أنس : «كان رسولُ اللهَ صلى اللهَ عليه وسلم أحسنَ الناس خُلُقاً » .

ليست أخلاقه باكتساب

وكان فيما ذكره المحقِّقون مجبولاً عليها في أصل خلقته ، وأول فطرته . لم تحصُل له باكتساب ، ولا رياضة . إلاَّ بجودٍ إلهيٍ . وخصوصيَّةٍ ربانيَّةٍ . وهكذا لسائر الأنبياء .

(١) سورة القلم : آيه ٤ .
(٢) وقد سالها سعيد بن هشام . وهذا الحديث رواه بتمامه البيهقي في دلائل النبوة .
(٣) على ما رواه أحمد والبزار . ورواه مالك في الموطا بلفظ يختلف قليلا وكذلك البغوي في شرح السنة .
(٤) على ما رواه الشيخان .

الفصل الحادي عشر

العَقــــــــل

العقــــــل

أما أصل فروعهــا ، وعُنْصرُ ينابيعهــا ، ونقطةُ دائرتها فالعقلُ الذي منه ينبعثُ العلمُ والمعرفةُ .

فـروع العقـل

ويتفـرَّعُ من هــذا ثقوبُ الرأيِ ، وجَوْدَةُ الفِطْنَــةِ ، والإصابةُ ، وصدقُ الظنِّ ، والنظرُ للعــواقبِ ، ومصـــالحِ النفس ، ومجــاهدة الشَّهوة ، وحُسْنُ السياسة والتدبير ، واقتناءُ الفضائل ، وتجنُّبُ الرذائل .

ـ وقد أشرنا إلى مكانه منه صلى الله عليــه وسلَّم ، وبلــوغِهِ منه ، ومن العــلم الغــايةَ القُصْوى التي لم يبلُغْها بشرٌ سواه .

وإذ جــلالة محلِّه من ذلك ، ومِمَّا تفرَّع منه متحقِّقةٌ عند من تتبـَّع مجــارى أحواله ، واطـِّراد سيره ، وطالع حكم حديثه ، وعِلْمه بما في التوراةِ والإنجيل ، والكتُبِ المنزَّلة ، وحِــكَمِ

لحُكَماءِ ، وسيرِ الأُمم الخالية وأيامِها ، وضربِ
لأمثال ، وسياساتِ الأَنامِ، وتقريرِ الشرائع،
تأصيلِ الآداب النفسيَّة(١) ، والشِيَم الحميدة،
لى فنون العلوم التي اتخذ أهلُها كلامَه صلَّ
للَّه عليه وسلم فيها قدوة ، وإشاراتِه حُجَّةً .

كالعِبارة(٢) ، والطِبِّ ، والحساب ،
الفرائض ، والنسب ، وغير ذلك مما سَنُبَيِّنُه
ي معجزاته ــ إن شاء اللَّه تعالى ــ دون تعليم
ولا مُدارَسَةٍ ، ولا مطالَعَةِ كُتُبِ مَنْ تقدَّم ،
ولا الجلوسِ إلى علمائهم ، بل نبيٌّ أُميٌّ لم
يُعرَفْ بشيءٍ من ذلك ، حتَّى شرَح اللَّه صدرَهُ،
وأبانَ أمرَه وعلَّمَه وأقرأه .

نبي أمي

ــ يُعلَم ذلك بالمطالعة ، والبحثِ عن حاله،
ضرورةً(٣) ، وبالبرهانِ القاطعِ على نبوَّتِهِ
نظراً(٤) ... فلا نُطَوِّل بسردِ الأقاصيص
وآحادِ القضايا ، إذْ مجموعها ما لا يأخذه
حصرٌ ، ولا يحيطُ به حِفْظُ جامِعٍ .. وبِحَسَب

(١) وفي نسخة : « النفيسة » وربما كانت الاولى تصحيفا .
(٢) العبارة : تعبير الرؤيا .
(٣) اي بديهة .
(٤) اي علما نظريا واستدلالا فكريا .

بحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم

عقلِهِ كانت معارفُه صلى اللَّه عليه وسلَّم إلى سائر ما علَّمه اللَّه تعالى . وأطلَعَه عليه ، من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته . قال اللَّه تعالى : « وعَلَّمَكَ مالَمْ تكُن تَعلَمُ وكانَ فضلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً(١) » .

حارت العقولُ في تقديرِ فضلِهِ ، وخرِسَت الألسُنُ دون وصفٍ يحيط بذلك ، أو ينتهي إليه .

(١) سورة النساء : آية ١٣ .

الفصل الثاني عشر

الحلم والاحتمال والعفو

وأما الحلمُ والاحتمالُ والعفوُ مع القدرةِ والصبرِ على ما يكره ـ وبين هذه الألقاب فرق :

الفروق بين هذه الألفاظ

ـ فإن الحلم : حالةُ توقُّرٍ وثباتٍ عند الأسباب المحرِّكات .

الحلم

ـ والاحتمال : حبسُ النفسِ عند الآلام والمؤذِيات .

الاحتمال

ـ والصبر : مثلها .

الصبر

ومعانيها متقاربة .

ـ وأمَّا العفو : فهو ترك المؤاخذة ...

العفو

وهذا كله مما أدَّب الله تعالى به نبيَّه صلى الله عليه وسلم :

فقال تعالى : « خُذ العَفْو وأمُر

بِالعُرْفِ »(١) الآية .

رُوي(٢) : أنَّ النَّبيَّ صلى اللَّه عليه وسلَّم لما نَزَلت عليه هذه الآيةُ سألَ جبريلَ عليه السَّلام عن تأويلها . فقال له : حتَّى أسألَ العالِم ، ثمَّ ذهب فأتاه فقالِ : يا محمَّدُ ، إنَّ اللَّه يأمرك أن تصل من قَطَعَك ، وتعطيَ من حَرَمَكَ ، وتعفوَ عمَّن ظلمك ...

وقال له : « واصْبِرْ عَلَى ما أصابَكَ » الآية(٣) .

وقال تعالى : « فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ »(٤) .

وقال : « ولْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا »(٥) الآية .

وقال تعالى : « وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمورِ »(٦) .

---

(١) « ... وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ » سورة الأعراف : آية ١٩٩ .
(٢) كما في تفسير ابن جرير . وابن أبي حاتم . وأبي الشيخ في مكارم الاخلاق وابن أبي الدنيا مرسلاً ووصله ابن مردويه .
(٣) « ... انَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمور » سورة لقمان : آية ١٧ .
(٤) سورة الأحقاف : آية ٣٥ .
(٥) « ... ألا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّه لكُم واللَّه غفورٌ رحيمٌ » سورة النور : آية ٢٢ .
(٦) سورة الشورى : آية ٤٣ .

ولا خَفَاءَ بما يُؤْثَرُ من حِلْمِه واحْتِمَالِهِ ، وإنَّ كُلَّ حليمٍ قد عُرِفت منهُ زَلَّةٌ ، وحُفِظت عنه هَفْوةٌ ، وهو ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ لا يزيد مع كثرةِ الأذى إلاَّ صبراً ، وعلى اسرافِ الجاهل إلاَّ حِلماً .

لا يزيد مع كثرة الأذى إلاّ صبرا

عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت(١) : ما خُيِّر رسولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في أمرين قطُّ ، إلاَّ اختارَ أيسرَهما ، مالم يكن إثماً فإنْ كان إثماً كان أبعدَ الناس منه ؛ وما انتقم رسولُ الله صلى اللَّه عليه وسلَّم لنفسه إلاَّ أن تنتهك حرمة اللَّه تعالى ، فينتقم للَّه بها .

كان أبعد الناس من الاثم

وروي(٢) : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم لما كُسِرَت رَباعيَتُهُ وشُجَّ وجهُه يوم أُحُدٍ شَقَّ ذلك على أصحابه شَقّاً شديداً ، وقالوا : لو دعوتَ عليهم :

فقال : « إنّي لم أُبعث لَعّاناً ، ولكنّي بُعثت داعياً ورحمة . اللَّهُم اهد قومي فإنَّهم لا يعلمون » .

لم يبعث لعانا

(١) كما رواه الشيخان وابو داود أيضا عنها ... كما أسنده المصنف في طريق مالك في الموطا .

(٢) الحديث رواه البيهقي في شعب الايمان مرسلاً وروى آخره موصولاً وهو قوله : « اللهم اهد قومي » في الصحيح حكاية عن نبي ضربه قومه .

ولمـا قال له الرجل(١) : « اعدل فإن هذه قسمةٌ ما أُريدَ بها وجهُ اللَّه » لم يزده في جوابه أن بيَّن له ما جهِلَه ، ووعظَ نَفْسه ، وذكَّرها بما قال له .

فقـال(٢) : « ويحَك فمـن يعـدل إن لم أعْدِل(٣) . خبتُ(٤) وخسرتُ إن لم أعْدِل » .

ونهى من أراد من أصحابه قَتْلَهُ(٥) .

غورث بن الحارث ومحاولة اغتياله صلى الله عليه وسلم

ـ ولمَّا تصـدى له غورثُ(٦) بن الحـارث ليفتِكَ(٧) به صلى اللَّه عليه وسلَّم وهو مُنْتَبـذٌ تحتَ شجرة وحده قائلاً والنـاس قائلون(٨) في غزاة(٩) فلم ينتبه رسُولُ اللَّه صَلى اللَّه عليـه

(١) المنافق وهو ذو الخويصرة حرقوص بن زهير التميمي قتل في الخوارج يوم النهروان على يد علي رضي الله عنه .
(٢) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنهما . ونحـوه في صحيح البخاري . واخـرجه البيهقي وهو حديث صحيح . وفي الفاظه اختلاف والمآل واحد .
(٣) وفي مسلم : اولست أحق أهل الأرض ان اطيع الله عز وجل ؟! وغضب صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه .
(٤) خبت : نقلها النووي في شرح مسلم على وجهي الضم والفتح والارجح فتح التاء لما ورد في بعض طرق هذا الحديث من زيادة قوله صلى الله عليـه وسـلم (ويخـرج من ضئضيء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) .
(٥) وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما في صحيح البخاري أو خالد بن الوليد او كلاهما كما في مسلم .
(٦) وردت القصة في سيرة ابن هشام برواية تختلف عن المذكورة هنا بعض الشيء . انظر السيرة ج ٣ ص٢١٦ تحقيق السقا ورفاقه ووردت في بعض السير بشكل قريب من الوارد هنا ولكن باسم دعثور بدلا من غورث .
(٧) على ما رواه البيهقي .
(٨) قائلون : من القيلولة اي نائمون في النهار .
(٩) وهي غزوة ذات الرقاع رابع سنة للهجرة .

وسلَّم إلاّ وهو قائم . والسيف صلتاً(١) في يده.

فقال : « من يمنعُكَ منّي » .

فقال : « الله » .

فسقط السيف من يده ، فأخذه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم وقال : « من يمنعك مني » .

قال : « كُنْ خَيْرَ آخِذٍ » .

خير الناس

فتركه وعفا عنه .

فجاء إلى قومه فقال : « جئتُكم من عند خير الناس(٢) » .

عفوه عن اليهودية التي ارادت قتله

ـ ومن عظيم خبرهِ في العفوِ عفوُه عن اليهوديَّةِ(٣) التي سمَّته في الشاة بعد اعترافها. على الصحيح من الرواية(٤) .

ـ وأنَّه لم يؤاخِذ لبيدَ(٥) بنَ الأعْصَمِ إذ سَحَرَهُ وقد أُعلِمَ به وأُوحِيَ إليه بشرح

(١) صلتا : مسلولاً .
(٢) ورواه الشيخان بدون سقوط السيف . وقوله صلى الله عليه وسلم . من يمنعك مني وجواب غورث .
(٣) هي زينب بنت الحارث بن سلام .
(٤) على ما رواه الشيخان .
(٥) هو رجل من بني زريق وهم بطن من الانصار ... وفي الصحيحين أن لبيدا يهودي وقيل: إنه منافق .

أمره(١) . ولا عتب عليه فضلاً عن معاقبته .

ـ وكذلك لم يؤاخذ(٢) عبدَ الله بنَ أبي وأشباهَه من المنافقين(٣) . بعظيم ما نُقِل عنه في جهته قولاً وفعلاً . بل قال(٤) لمن أشار بقتل بعضهم : « لا . لئلا يُتَحَدَّث أنَّ محمداً يقتل أصحابه(٥) » .

صبره على المنافقين

وعن أنس رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم . وعليه بُرْدٌ غليظ الحاشية . فجبذه أعرابيٌّ بردائه جَبْذةً شديد حتى أثَّرت حاشيةَ البرْدِ في صَفحة(٦) عاتقه ثم قال : يا محمَّدَ احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك(٧) . فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك . فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « المالُ مالُ الله وأنا عبدُه » .

(١) رواه أحمد والنسائي والبيهقي في دلائله .
(٢) على ما رواه الشيخان .
(٣) قال ابن عباس : كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مئة وسبعين .
(٤) على المريسيع ماء لبني المصطلق .
(٥) وهذا الحديث رواه الشيخان . وروى الطبراني : عرض ولد عبد الله على الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل أبيه ومنعه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك .
(٦) الصفحة : الجانب أو العرض . والعاتق : مابين العنق والكتف .
(٧) الى هنا رواه الشيخان وأخرجه بلفظ المصنف البيهقي في الادب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

صبره على جفوة الأعراب وغلظتهم

ثم قال : « ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي » .

قال : لا . قال : «لمَ » قال : لأنك لا تكافىء بالسيئة السيئة .

فضحك النبيُّ صلى الله عليه وسلم . ثم أمر أن يُحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر .

كان لا ينتصر لنفسه بل لله عز وجل

قالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيتُ رسولَ اللهَ صلى اللهَ عليه وسلَّم منتصراً من مظلمة ظُلِمَها قطُّ . مالم تكن حُرْمةٌ من محارم اللهَ . وما ضرب بيده شيئاً قطُّ إلاَّ أن يجاهد في سبيل اللهَ . وما ضرب خادماً ولا امرأةً(١) .

ــ وجيء إليه برجلٍ(٢) . فقيل : هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي صلى اللهَ عليه وسلم : « لن تُراع(٣) . لن تُراع ولو أردت ذلك لم تُسلَّط عليَّ » .

حلمه مع من أراد قتله

وجاءه(٤) زيد(٥) بن سَعْنة قبل إسلامه

---

(١) رواه الشيخان .
(٢) هذا الحديث أخرجه أحمد والطبراني بسند صحيح ولم يسميا الرجل .
(٣) بضم التاء أي لن تفزع بمكروه .
(٤) وهو حديث طويل رواه البيهقي مفصلاً عن ابن سلام ووصله ابن حبان . والطبراني . وأبو نعيم عن عبد الله بن سلام أيضا وسنده صحيح كما قاله السيوطي .
(٥) وهو حبر من أحبار اليهود وفي التهذيب : هو صحابي من أحبار اليهود الذين أسلموا وهو من أكثرهم مالاً وعلماً . حسن إسلامه وشهد المشاهد وتوفي مرجعه صلى الله عليه وسلم من تبوك .

يتقاضاه دَيناً عليه فجبذ ثوبَه من منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظَ له ثم قال :

ـ إنَّكم يا بني عبد المطلب مُطُل(١)

فانتهره عمر . وشدَّد له في القول والنبيُّ صلى الله عليه وسلَّم يبتسم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا . وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر . تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي » .

حلمه على من أغلظ له بالقول

ثم قال : « لقد بقي من أَجَلِه ثلاث » .

وأمر عمر يقضيه ماله . ويزيده عشرين صاعاً لما روَّعه .

ـ فكان سبب إسلامه وذلك أنه كان يقول: « ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد إلا اثنتين لم أخبرهما :

ـ يسبق حلمه جهله .

ـ ولا تزيده شدة الجهل إلا حلماً فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف ...

من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم انه يسبق حلمه غضبه وانه لا تزيده شدة الجهل إلا حلماً

والحديث عن حلمه صلى الله عليه وسلم

(١) بضم الميم والطاء جمع ماطل كفاجر وغدر

وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن نأتي عليه .وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة ، الى ما بلغ متواتراً مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره اللهَ عليهم وحكّمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم(١) وإبادة خضرائهم(٢) فما زاد على أن عفا وصفح :

وقال : « ما تقولون أني فاعل بكم » ؟

قالوا : خيراً .. أخٌ كريم ، وابنُ أخٍ كريم.

فقال(٣) : (أقول كما قال أخي يوسف : «لا تَثْرِيب(٤) عَلَيكُم»)(٥) الآية . « اذهبوا فأنتُم الطُلَقاء » .

موقفه من قريش بعد ان أمكنه الله منهم

وقال أنس(٦) رضي اللهَ عنه : هبط ثمانون

---

(١) الشافة : في الإصل قرحة تخرج للانسان في أسفل القدم فتكوى فتذهب فهم يقولون في المثل (استاصل الله شافته) اي انهبه كما انهبها .
(٢) خضرائهم : جمعهم وسوادهم .
(٣) قال ذلك يوم فتح مكة آخذا بعضادتي باب الكعبة على ما رواه ابن سعد والنسائي وابن زنجويه .
(٤) التثريب : التعيير والتوبيخ اي لا اوبخكم .
(٥) « ... اليومَ يغفرُ الله لكم وهوَ أرحمُ الرّاحمين » سورة يوسف : اية ٩٢ .
(٦) كما رواه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي .

رجلاً من التنعيم(١) صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم . فأُخذوا فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأنزل الله تعالى : « وَهُوَ الَّذي كَفَّ أيْدِيَهُم عَنكُم »(٢) الآية .

موقفه من أبي سفيان بعد أن تمكن منه

وقال لأبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزابَ وقتلَ عمَّهُ وأصحابَهُ . ومثّل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول : «ويحك يا أبا سفيان !! ألم يَئِن لك أن تعلم أن لا إله إلاَّ الله » ؟!

فقال : بأبي أنت وأمي ما أحلمَكَ وأوصلَكَ وأكرَمَكَ(٣) .

ـ وكان رسولَ الله صلى الله عليه وسلَّم أبعدَ الناس غضباً . وأسرَعَهم رضى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أقرب أطراف مكة إليها على بعد ثلاثة أو أربعة أميال منها على طريق المدينة والشام سميت بذلك لانه يقربها جبل يسمى « نعيم » على يمينها وعلى شمالها آخر يسمى « ناعم » والوادي « نعمان » .

(٢) « ... وأيديَكُمْ عنهم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أنْ أظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ » سورة الفتح : آية٢٤.

(٣) والحديث بكامله مذكور في السِّيَر وقد أخرجه الطبراني والبيهقي عن ابن عباس بسندٍ صحيحٍ .

الفصل الثالث عشر

الجـود والـكرم

التفـريق بين معاني الجـود والكرموالسماحة

وأما الجـودُ والـكرمُ والسَّخاءُ والسَّماحةُ ومعانيها متقاربةٌ وقد فـرَّق بعضُـهم بينهـا بفروق فجعلوا الكرم : الإنفـاق بطيب نفس فيما يعظُم خطرُه ونفعُه وسمَّوه أيضاً جـرأة وهو ضد النَّذالة .

الـكرم

ـ والسماحة : التجافي عمـا يستحقُّه المرء عند غيره بطيب نفسٍ وهو ضدُّ الشَّكاسة(١) .

السـماحة

ـ والسـخاء : سـهولة الإنفـاق وتجنُّب اكتساب ما لا يُحمد وهو ضدُّ التقتير .

السـخاء

فكان صلى الله عليه وسلم لا يُوازى في هذه الأخلاق ولا يُبارى(٢) .

بهذا وصفه كل من عرفه .

---

(١) الشكاسة : سوء الخلق .

(٢) فاق النبيين في خَلق وفي خُلق ★ ولم يدانوه في علم ولا كرم

عن ابن المنكدر(١) قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول(٢) : « ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال لا » .

ما سئل عن شيء فقال لا

وعن أنس(٣) وسهل بن سعد رضي الله عنهما مثله .

وقال(٤) ابن عباس رضي الله عنهما : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة

كان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان

وعن أنس(٥) رضي الله عنه : أن رجلا(٦) سأله فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع الى قومه وقال : أسلموا فان محمداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة .

يعطي عطاء من لا يخشى فاقة

ـ وأعطى غير واحد(٧) مائة من الإبل .

(١) أخرجه مسلم والبخاري والترمذي في الشمائل وهو حديث صحيح .
(٢) رواه البخاري في الأدب ومسلم في فضائله صلى الله عليه وسلم والترمذي في شمائله .
(٣) أخرج حديث أنس مسلم .
(٤) كما روي عنه الشيخان .
(٥) كما رواه مسلم .
(٦) هو صفوان بن أمية الجمحي القرشي .
(٧) كأبي سفيان وابنيه معاوية ويزيد ومع كل مائة أربعين أوقية.. وكحكيم بن حزام والحارث ابن هشام .

ـ وأعطى(١) صفوانَ مئةً ثُمَّ مئةً ثُمَّ مئةً .

وهذه كانت خُلُقَه صلى اللهَ عليه وسلم قبل أن يُبعث .

وقد قال له ورقةُ بنُ نوفل : إنَّك تحمل الكَلَّ(٢) . وتَكسِبُ المعدومَ .

ـ وردَّ على هوازن(٣) سباياها وكانت ستَّةَ آلاف .

ـ وأعطى العبَّاس من الذهب مالم يُطِقْ حمله(٤) .

ـ وحُمِل(٥) إليه تسعُون ألفَ درهم فوُضعت على حصير ثم قام إليها فقسَّمها . فما ردَّ سائلا حتَّى فرغ منها .

---

(١) كما رواه مسلم.وصفوان بن امية الجمحي القرشي كنيته ابو وهب اسلم يوم الفتح شهد حنينا والطائف وهو مشرك فلما أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم ما اعطاه قال : اشهد بالله ما طابت بهذا إلا نفسُ نبي فاسلم . روى له اصحاب الكتب الستة توفي في خلافة سيدنا معاوية بمكة سنة ٤٢هـ .
(٢) هذا بعض حديث صحيح رواه الشيخان .
(٣) قبيلة تسكن منطقة حنين .
(٤) كما رواه البخاري عن انس تعليقا .
(٥) على ما رواه أبو الحسن بن الضحاك في شمائله عن الحسن مرسلاً .

الغاية في السخاء

ـ وجاءه(١) رجل فسأله فقال : « ما عندي شيء ، ولكن ابتع علي ، فإذا جاءنا شيء قضيناه » .

فقال له عمر رضي الله عنه : ما كلّفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبيُّ صلى الله عليه وسلّم ذلك . فقال رجلٌ(٢) من الأنصار : يارسول الله أنفق ولا تَخْشَ من ذي العرش إقلالاً .

فتبسَّمَ النبيُّ صلى الله عليه وسلّم وعُرِف البشر في وجهه(٣) وقال : « بهذا أُمِرت » .

ذكره(٤) الترمذي وذُكر(٥) عن معوذ بن عفراء رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب ـ يريد طبقاً ـ وأَجْرٍ(٦) زُغْبٍ(٧) ـ يريد قثاء ـ فأعطاني ملء كفه حَلْياً(٨) وذهباً .

(١) كما رواه الترمذي في شمائله .
(٢) هو بلال ولكنه من المهاجرين وقد يجمع بانهما قالا له .
(٣) تراه اذا ما جئته متهللاً ، كانك تعطيه الذي انت سائله .
(٤) في كتاب الشمائل .
(٥) ذكره الترمذي في شمائله أيضا وأخرجه الطبراني وأحمد عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن .
(٦) بفتح همزة وسكون جيم وكسر راء منونة جمع جرو مثلث الجيم والكسر اشهر كدلو وادل .
(٧) جمع ازغب كاصفر وصفر والمعنى القثاء الصغيرة وهذا وصف للقثاء بالغضاضة واللطافة اذ القثاء اللطاف لا تخلو عن شيء يكون عليه شبه الزغب .
(٨) بفتح فسكون والجمع حُلِيّ بضمتين كضرب وضروب . ثم كسرت اللام لتصح الياء . فصارت (حُلِيّ) .

كان لا يدَّخر شيئاً لغد صلى الله عليه وسلم

قال(١) أنس رضيَ الله عنـه : كان رسُولُ الله صلى الله عليه وسلَّم لا يدَّخر شيئاً لغد .

ـ والخبرُ بجوده صلى الله عليه وسلَّم وكرمِه كثير .

(١) فيما رواه الترمذي .

الفصل الرابع عشر

الشّجاعة والنّجدة

وأما الشَّجاعة والنَّجدة .

تعريف الشجاعة

ـ فالشَّجاعة : فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل .

النجدة

ـ والنجدة : ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت ، حيث يحمد فعلها دون خوف .

وكان صلى الله عليه وسلّم بالمكان الذي لا يُجْهل ، وقد حضر المواقف الصعبة وفرّ الكُماةُ(١) والأبطالُ عنه غيرَ مرّةٍ ، وهو ثابت لا يَبْرَحُ ، ومقبلٌ لا يُدْبِرُ ولا يتزحزحُ . وما شُجاع إلاّ وقد أُحْصِيت له فَرّة وحُفِظت عنه جولة(٢) سواه .

شجاعته يوم حنين

عن أبي إسحق : سمع البراءَ وسأله رجل : أفررتُم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؟!

(١) الكماة : جمع كمي وهو الشجاع المكمي في سلاحه والساتر لنفسه بدرعه .
(٢) اسم مرة من الجولات في المكان فالجولة هنا تعني الفرار .

قال : لكن رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم لم يفر(١) .

ثم قال : لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذٌ بلجامها ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلّم يقول : « أنا النبيُّ لا كَذِب » .

وزاد غيره(٢) : « أنا ابنُ عبد المطَّلب » .

قيل : فما رؤيَ يومئذ أحدٌ كان أشدَّ منه .

وقال غيره : نزل النبي صلى اللهَّ عليه وسلم عن بغلته .

وذكر مسلم عن العبَّاس رضي اللهَّ عنهما قال : فلما التقى المسلمون والكُفَّار ولَّى المسلمون مدبرين فطفق رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم يُرْكِضُ بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها . أكفها إرادة أن لا تسرع . وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى : « يا لَلمسلمين »(٣) الحديث .

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجهاد ومسلم في المغازي والنسائي في السير .
(٢) غير البراء .
(٣) بفتح اللام الاولى لدخولها على المستغاث به فان دخلت على المستغاث له كسرت نحو بالله للمسلمين وهذا بعض من حديث صحيح في شمائل الترمذي .

وقيل(١) : كان رسول اللهَّ صلى اللهَّ علي وسلَّم إذا غضب ـ ولا يغضب إلا للهَّ ـ لم يقم لغضبه شيء .

وقال(٢) ابن عمر رضيَ اللهَّ عنهما : ما رأيت أشجعَ ولا أنجدَ ولا أجودَ ولا أرضى من رسول اللهَّ صلى اللهَّ عليه وسلم .

وقال(٣) علي رضيَ اللهَّ عنه : إنّا كنا إذا حمي البأسِ ـ ويروى اشتد البأس ـ واحمرَّت الحَدَق ، اتَّقينا برسول اللهَّ صلى اللهَّ عليه وسلم فما يكون أحدَ أقربَ إلى العدوّ منه .

يحتمي الشجعان به عند اشتداد الحرب

ولقد رأيتُني يوم بدر ونحنُ نلوذ بالنبيِّ صلى اللهَّ عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو . وكان من أشدّ الناس يومئذ بأساً .

وقيل(٤) : كان الشُّجاع هو الذي يقرب منه صلى اللهَّ عليه وسلَّم إذا دنا العدو لقربه منه .

---

(١) كما في حديث ابن أبي هالة .
(٢) كما رواه الدارمي من حديث صحيح مسند .
(٣) كما رواه أحمد والنسائي والطبراني والبيهقي وأخرج مسلم بعضه .
(٤) تعبير المصنف بقيل ليس في محله لإيهامه ضعف الخبر والخبر من كلام البراء بن عازب رضي الله عنه رواه عنه مسلم في صحيحه .

وعن(١) أنس رضي الله عنه : كان النبي صلى الله عليه وسلّم أحسنَ الناس وأجودَ الناس وأشجعَ الناس .

كان أول مستبرىء للخبر عند الفزع

لقد فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قِبَلَ الصَوت فتلقَاهم رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم راجعاً ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وقد استبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ والسيف في عنقه وهو يقول : « لن تُرَاعُوا » .

كان أول من يضرب عند الهجوم

وقال عمران بن حصين(٢) : ما لقي رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب .

ـ ولما رآه(٣) أبيُّ بنُ خلف يوم أُحد وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوتُ إن نجا وقد كان يقول للنبّي صلى اللَّه عليه وسلم حين افتدي يوم بدر : عندي فرس أعلفها كل يوم فَرْقاً(٤) من ذرة أقتلك عليها :

فقال له النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « أنا

(١) كما في حديث الشيخين .
(٢) كما رواه أبو الشيخ في الأخلاق .
(٣) ما رواه ابن سعد والبيهقي وعبد الرازق مرسلا والواقدي موصولا .
(٤) مكيال معروف بالمدينة وهو ستة عشر رطلا .

قتل أبيّ بن خلف يوم أحد

أقتلك إن شاء الله » فلما رآه يوم أُحد شدَّ أبيّ على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هكذا » أي خلّوا طريقه ، وتناول الحربة من الحارث بن الصِّمَّة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطايُر الشَّعْراء(١) عن ظهر البعير اذا انتفض ، ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ(٢) منها عن فرسه مراراً . وقيل : بل كسر ضِلعاً من أضلاعه .

فرجع الى قريش يقول : قتلني محمَّد .

وهم يقولون : لا بأس عليك .

فقال : لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم . أليس قد قال:« أنا أقتلك » !! والله لو بصق عليَّ لقتلني .

شر الناس من قتله نبي

فمات بسَرِف(٣) في قفولهم إلى مكة .

(١) الشعراء : بفتح الشين ذباب احمر او ازرق يقع على الحيوان فيؤذيه .
(٢) تدادا : تدحرج .
(٣) سرف : مكان على بعد ستة اميال من مكة كان فيه زواج ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء .

الفصل الخامس عشر

الحياءُ والإغضاءُ

وأما الحياءُ والإغضَاءُ :

تعريف الحياء

ـ فالحيَاءُ : رقّة تعتري وجه الإنسان عندَ فعلِ ما يُتوقّعُ كَراهيتُه . او ما يكون تَركُه خيراً من فعله .

الإغضاء

ـ والإغضاء : التغافلُ عمّا يكره الإنسانُ بطبيعتِه .

ـ وكان النبي صلى الله عليه وسلّم أشدَّ الناس حياءً . وأكثرَهُم عن العَورات إغضاءً.

قال اللّه تعالى : « إنَّ ذلِكُم كانَ يؤْذِي النَّبِيَّ فيَسْتَحِيْ مِنْكم »(١) الآية .

---

(١) « ... واللّه لا يَسْتَحيي من الحَقِّ » سورة الاحزاب : آية ٥٣ . وسبب نزولها أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما بنى بزينب بنت جحش أولم بشاة وتمر وسويق وامر أنساً بدعوة الصحابة فدعاهم فجعلوا يجيئون ويأكلون ويخرجون ويجيء آخرون الى أن بقي ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتحدثون فتاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وكان شديد الحياء فنزلت الآية في حقهم .

عن أبي(١) سعيد الخُدري رضي الله عنه : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أشَدَّ حياءً من العَذْراء في خِدْرها . وكان إذا كره شيئاً عرفناهُ في وجهه .

وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلّم لطيفَ البَشَرة رقيق الظّاهر لا يشافِهُ أحداً بما يكرهُ حياءً وكرمَ نفس .

كان صلى الله عليه وسلم يعرض بما يكره

وعن(٢) عائشةَ رضيَ الله عنها : كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا بلغَهُ عن أحد ما يكرهُهُ لم يَقُل : ما بالُ فلان يقول كذا ولكن يقولُ : « ما بالُ أقوام يَصنَعُون أو يقولون كذا » ينهي عنه ولا يُسَمّي فاعله .

وروى(٣) أنس رضي الله عنه : أنّهُ دخل عليه رجل به أثرُ صُفْرة(٤) فلم يقُل له شيئاً ـ وكان لا يواجِهُ أحداً بما يكره ـ فلما خرج . قال : « لو قلتم له يغسِلُ هذا » ويروى ينزِعُها .

(١) كما رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه .
(٢) رواه أبو داود في سننه مسنداً .
(٣) كما رواه أبو داود .
(٤) يعني ان الرجل كان خضب فبقي عليه بقية من الغضب .

قالت(١) عائشة رضي اللهَّ عنها في الصَّحيح: لم يكــن النبيّ صلى الله عليه وسلّم فحّاشاً ، ولا مُتَفحِّشاً . ولا صخّاباً في الأســواق ولا يجزي بالسَّيئةِ السَّيئةَ ولكنْ يعفو ويصفح .

وقد حُكِي مثلُ هذا الكلامِ عن التوراة من رواية ابن سَــلّام وعبد اللهَّ بن عمرو بن العاص .

وصــفه بذلك في التوراة

وروي عنــه(٢) : أنّــه كــان من حيائــه لا يُثْبِتُ بصــرهُ في وجــه أحــد وأنّه كان يُكَنّي عمــا اضــطرهُ الــكلامُ إليــه مِمّــا يكرهُ(٣) .

وعن(٤) عائشةَ رضيَ اللهَّ عنها : ما رأيتُ فَرْجَ رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلّم قـطٌّ ...

(١) كما رواه الترمذي .
(٢) أي عن النبي صلى اللهَّ عليه وسلم كما في الإحياء لكن لم يعرف العراقي وروده في الانباء .
(٣) قال السيوطي : حديث أنه كان يكني عما اضطره الكلام إليه معلوم من أحواله واقواله في الاحاديث المشهورة .
(٤) رواه الترمذي في الشمائل .

الفصل السادس عشر

حسنُ العِشرة والأدبِ وبسط الخلُق

وأما حُسنُ عشرتِه وأدبِه وبَسطُ خلُقِه صلى اللهَّ عليه وسلم مع أصناف الخَلقِ فبحيثُ انتشرت به الأخبار الصحيحةُ .

وصف علي له

قال(١) علي رضي اللهَّ عنه في وصفه عليه الصلاة والسلام : « كانَ أوسعَ النَاسِ صدراً . وأصدقَ النّاس لَهجَةً . وأليَنهُم عريكةً(٢) وأكرمَهُم عِشْرةً .

عن قيس بنِ سعد رضي اللهَّ عنه قال : « زارنَا رسول اللهَّ صلى اللهَّ عليه وسلّم وذكر قصةَ في آخرها ـ فلما أراد الانصراف قرَّب له سعدٌ حماراً . وطّأ عليه بقَطِيفةٍ فركب رسولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قال سعد : يا قيسُ اصحب رسُول اللهَّ صلى الله عليه وسلّم .

(١) في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي في شمائله .
(٢) عريكة : طبيعة .

قال قيس : فقال رسولُ اللهَ صلى الله عليه وسلَّم : « اركب » فأبَيتُ فقال : إمَّا أن تركب وإمَّا أن تنصَرفَ » فانصرفتُ(١) .

وفي رواية أخرى : «اركب أمامي فصاحبُ الدابَّة أولى بمقدَّمِها» .

ـ وكان(٢) رسول اللهَ صلى الله عليه وسلَّم يؤلّفهم ولا ينفِّرهُم ويُكْرِم كريمَ كُلِّ قوم ويولِّيه عليهم ويَحذَرُ النَّاس ويحتَرسُ منهم من غير أن يطوي على أحد منهم بِشرَهُ ولا خُلُقَهُ يَتعهَّدُ أصحابه ويعطي كل جُلسائه نصيبَهُ ولا يحسَبُ جليسُه أن أحداً أكرمُ عليه منه .

لا يطوي عن أحد بشره

ـ من جالسَهُ أو قاربَهُ لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه .

ـ ومن سأله حاجة لم يردَّه إلاَّ بها أو بميسُورٍ من القول . وقد وسِع الناس بسطُهُ وخُلقهُ فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء . بهذا وصفه ابن أبي هالة

(١) الحديث رواه أبو داود في الادب والنسائي في اليوم والليلة .
(٢) كما في شمائل الترمذي من حديث هند بن أبي هالة .

قال : كان دائم البِشر ، سَهلَ الخُلُق لينَ الجانب . ليس بِفَظٍّ ولا غَليظٍ و صخَّابٍ ولا فحَّاشٍ ، ولا عيَّابٍ ، ولا مَدَّاحٍ يتغافلُ عمَّا لا يشتهي ولا يُؤيَسُ منه .

وصف ابن أبي هالة له صلى الله عليه وسلم

وقال الله تعالى : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِن اللهِ لِنْتَ لَهُم ، ولو كُنْتَ فَظَّاً غَليظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا من حَوْلِكَ »(١) وقال تعالى « ادْفَعْ بالَّتي هِيَ أَحْسَنُ »(٢) الآية .

يقبل الهدية مهما حقرت ويكافيء عليها

ـ وكان(٣) يجيبُ من دعاه ، ويَقْبَلُ(٤) الهدية ولو كانت كُرَاعاً(٥) ويُكافِىءُ عليها

وصف الخادم أنس لسيده

قال(٦) أنس رضي الله عنه : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلَّم عشرَ سنين(٧) فما قال لي : « أُفٍّ » قَطُّ ، وما قال لشيء صنعتُه : لِمَ صَنَعْتَه : ؟! ولا لشيء تَرَكْتُه لم تَرَكْتَهُ ؟!

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٩ .
(٢) « ... فإذا الذي بَيْنَك وبَيْنَه عَداوةٌ كأنَّهُ وليٌّ حميمٌ » سورة فصلت : آية ٣٤ .
(٣) على ما رواه ابن سعد مرسلاً .
(٤) على ما رواه البخاري .
(٥) الكراع : بالضم في البقر والغنم وهو مستدق الساق .
(٦) رواه الشيخان .
(٧) وفي رواية لمسلم تسع سنين .

وعن(١) عائشة رضي اللَّه عنها : ما كان أحدٌ أحسنَ خُلُقاً من رسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم ، ما دعاه أحدٌ من أصحابِهِ ولا أهلِ بيتِهِ إلاَّ قال : « لبَّيكَ » .

وقال(٢) جريرُ بنُ عبدِ اللَّه رضي الله عنه : ما حَجَبني رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَّم قطُّ مُنذُ أسلَمْتُ ، ولا رآني إلاَّ تَبَسَّمَ .

ـ وكان يُمازِح(٣) أصحابَهُ ، ويخالِطُهم ويحادثُهم ويداعبُ صبيانَهُم ويُجْلِسهم في حِجره ويجيبُ دعوة الحُرِّ والعبدِ(٤) والأمَةِ والمسكين ويعودُ المرضى في أقصى المدينةِ ويقبلُ عُذرَ المُعتَذر(٥) .

اهتمامه بامور الناس

قال(٦) أنس رضي اللَّه عنه : ما التقمَ أحَدٌ أُذنَ رسولِ اللَّهِ صلى اللَّهِ عليه وسلَّم

(١) كما رواه ابو نعيم في دلائل النبوة بسندٍ واهٍ .
(٢) رواه الشيخان .
(٣) كما رواه الترمذي في باب مزاحه صلى الله تعالى عليه وسلم .
(٤) كان يجيب دعوة العبد . اخرجه البزاز عن جابر والترمذي وابن ماجهْ عن أنس رضي الله عنهما .
(٥) هذا من المعلوم والصحيح في قصة المتخلفين عن غزوة تبوك .
(٦) رواه ابو داود والترمذي والبيهقي عنه . والبزاز عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما .

فيُنحِّي رأسَهُ . حتَّى يكونَ الرجُلُ هو الذي يُنحِّي رأسَهُ . وما أخَذَ أحدٌ بيده فيُرسِلُ يده حتَّى يُرسِلَها الآخِذُ . ولم يُرَ مُقَدِّماً ركبتَيهِ بين يدي جليسٍ لهُ .

إكرام الناس باخلاق وبشاشة

وكان(١) يبدأُ من لقيه بالسَّلامِ ويبدأ أصحابه بالمُصافَحةِ . ولم يُرَ (٢) قطُّ مادًّا رجليهِ بين أصحابِهِ حتَّى يُضيِّق بهما على أحَدٍ . يُكرِمُ من يدخُل عليه وربَّما بَسطَ لَهُ ثوبَهُ ويوثِرُهُ بالوسادةِ الَّتي تحته . ويَعْزِمُ عَلَيهِ في الجُلُوسِ عليها إن أبى ويُكَنِّي أصحَابَهُ ويدعُوهم بأَحبِّ أسمائِهِم تَكرِمَةً لهم . ولا يقطعُ على أحدٍ حديثَهُ حتَّى يتجوَّز فيقطعه بِنَهي أو قيام ــ ويروى بانتهاء أو قيام ــ .. وروي(٣) أنَّه كان لا يجلِسُ إليه أحَدٌ وهو يُصلِّي إلاَّ خفَّف صلاتَهُ وسألَهُ عن حاجتِهِ . فإذا فرغَ عادَ إلى صلاتِهِ .

(١) على ما في حديث ابن أبي هالة واخرج أبو داود عن أبي ذر مثله .
(٢) كما رواه الدارقطني في غريب مالك وضعّفه .
(٣) لم يجد له العراقي أصلاً . وفي الصحيح : إني لاقوم إلى الصلاة اريد ان أطوّل فيها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي كراهة ان أشق عليه . فلو أورده المصنف لكان أظهر .

كان أكثر الناس تبسما

وكان أكثَرَ النّاسِ تَبتسُماً وأطيبَهُم نفساً ، مالم يُنْزَل عليه قرآن" أو يعِظ' أو يخطُب' .

وقال(١) عبدُ الله بنُ الحارث : ما رأيتُ أحَداً أكثَرَ تبسُماً من رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلّم .

خدم المدينة يأتون بالماء ليتبركوا

وعن(٢) أنس رضيَ اللهَ عنه : كان خَدَمُ المدينةِ يأتُونَ رسول اللهَ صلى الله عليه وسلّم ، إذا صلّى الغَداةَ بآنيَتِهم فيها الماءُ . فما يُؤتى بآنيةٍ إلاَّ غَمَس يَدَه' فيها ، وربّما كان ذلك في الغَداةِ الباردة يريدون(٣) به التّبَرُّكَ .

(١) على ما رواه احمدُ والترمذي بسندٍ حسنٍ في المناقب من الجامع وهو في الشمائل ايضا .
(٢) رواه مسلم .
(٣) لعل زيادة « يريدون به التبرك » من زيادة المصنف فإن البغوي رحمه الله تعالى رواه في مصابيحه بدون هذه الزيادة .

الفصل السّابع عشر

الشَّفَقَةُ والرحمةُ

وأمَّا الشَّفَقَةُ والرأفةُ والرحمةُ لجميع الخلق فقد قال اللهُ تعالى فيه : « عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ »(١) .

وقال تعالى : « ومَا أرْسَلْنَاكَ إلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ »(٢) .

قال بعضُهم : من فضله صلى اللهُ عليه وسلَّم أنَّ اللهَ أعطاه اسمين من أسمائه . فقال: « بالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » .

أعطاه الله اسمين من أسمائه

وحكى نحوَهُ الإمامُ أبو بكر بن فُوْرَك .

عن ابن شهاب قال : غَزَا رسولُ اللهِ صلى

(١) سورة يونس : آية ١٢٨ .
(٢) سورة الأنبياء : آية ١٥٧ .

لله عليــه وسلـَّم غزوة ، وذكرَ حُنَيناً قال : أعطى رسول اللهَ صلى اللهَ عليه وسلـَّم صفوان بن أميـَّة مِـئـَةً من النـَّعم ثم مِـئـَةً ثم مئةً .

قال ابنُ شهاب : حـدثـَنا سـعيدُ بنُ لمُسيـَّبِ أن صفوان قال : واللهِ لقد أعطاني ما أعطـاني وإنـَّه لأبغَضُ إليّ فمـا زال يعطيني حَتَّى إنـَّه لأَحَبُّ الخلقِ إليَّ .

عطاؤه يمحو البغضاء

ـ ومن شَفَقَتِهِ على أُمَّته صلى اللَّه عليه وسلـَّم تخفيفُه وتسهيلُه وكراهتُه أشياء مخافةَ أن تُفْرَضَ عليهم .

شفقته على أمته

كقوله(١) عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ : « لولا أنْ أشُق على أمـَّتي لأَمَرْتـُهم بالسـِّواك مع كُلِّ وضوءٍ »(٢) .

ـ وخبر صلاةِ اللـَّيل(٣) ونهيهِم عنِ الوِصَال(٤) وكراهتِه دخولَ الكَعبة(٥) لِئلا

رحمتـــه

(١) كما رواه الشيخان .
(٢) وفي مسلم عند كل صلاة وهذا الحديث رواه أصحاب الكتب الستة .
(٣) لعله أراد خبر الشيخين في قيام الليل : خذوا من العمل ما تطيقون . إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإنَّ أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يريد يستغفر الله فيسب نفسه . أو ما رواه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص حيث قال : وأما أنا فارقد وأقوم وأصلي .. ومنعه عن قيام الليل .
(٤) كما رواه الشيخان .
(٥) رواه أبو داود والترمذي وصححه .

تَتَعنَّتَ أمَّتُهُ ورغبته لربه أن يجعل سب
ولعنــه لهم رحمة بهم ، وأنَّه(١) كان يسمَعُ
بكاءَ الصَّبِي فيَتجوزُ في صلاته .

ومن شَفَقَتِه صلى اللَّهُ عليه وسلَّم أن
دعا ربَّه وعاهَدَه فقال : « أيُّما رجُل
سَبَبتُه أو لعنتُه ، فاجعل ذلك لهُ زكا
ورحمةً ، وصلاةً وطَهُوراً ، وقربة تُقَرِّب
بها إِليك يوم القيامة »(٢) .

شفقته على الكفار وطمعه في إيمان ذرياتهم

ـ ولمَّا كذبه(٣) قَومُه أتاهُ جبريلُ علي
السَّلامُ فقال له : إِنَّ اللَّهَ تعالى قد سمع قول
قومِكَ لك وما ردُّوا عليك ، وقد أمر مَلَك
الجبال لتأمُره بما شِئْتَ فيهم ، فناداهُ مَلَك
الجبال ، وسلَّمَ عليه وقال : مُرني بمـ
شئتَ ، إن شئتَ أن أطبِق عليهم الأخشبين ،
قال النبي صلى اللَّهُ عليه وسلَّم : « بل أرجُو
أن يُخْرِج اللَّهُ من أصلابهم من يعبُدُ اللَّهَ
وحدهُ ولا يُشرِكُ به شيئاً » .

(١) رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه .
(٢) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وروي هذا الحديث من طرق أخرى .
(٣) رواه الشيخان وأصحاب الكتب الستة .

وروى(١) ابنُ المُنكَدرِ : أن جبريل عليه السَّلامُ قال للنبي صلى اللَّه عليه وسلَّم : إنَّ الله تعالى أمر السَّماء والأرض والجبال أن تطيعكَ فقال : « أؤخّرُ عن أمَّتي لعل اللَّه تعالى أن يتوب عليهم » .

قالت(٢) عائشةُ رضي اللَّه عنها : ما خُيِّرَ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلَّم بين أمرين إلاَّ اختار أيسرهُما » .

قال(٣) ابنُ مسعود رضيَ اللَّه عنه : كان رسولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلَّم يَتَخوَّلُنا بالموعظة مخافةَ السآمةِ علينا .

ينصح الناس بالرفق

وعن(٤) عائشةَ رضيَ اللَّه عنها : أنَّها ركبت بعيراً وفيه صُعوبة فَجعَلت تُرَدِّدهُ(٥) فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلَّم : « عليك بالرفق » .

---

(١) الحديث مرسل ، الا انه مما لا يقال بالراي ، فيكون له حكم الموصول ، ولا سيما يعضده الحديث السابق في الصحيحين .
(٢) الحديث مر الكلام عليه .
(٣) فيما رواه الشيخان .
(٤) هذا الحديث أخرجه البيهقي في سننه عن المقدام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها وبعضه في مسلم .
(٥) أي تروضه .

الفصل الثامن عشر

الوفاءُ وحُسنُ العَهدِ وصِلةُ الرَّحِم

وأمَّا خُلُقه صلى الله عليه وسلَّم في الوفاء وحُسن العَهد وصِلَة الرحِم : فمن(١) عبدِ اللَّهِ بن(٢) الحَمْسَاءِ قال : بايعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلَّم ببيع ، قَبلَ أن يُبعَثَ ، وبقيت له بقيَّة'' ، فوعدتُه أن آتيهُ بها في مكانه فنسيتُ ، ثم ذكرتُ بعد ثلاث ، فجئتُ ، فإذا هو في مكانه ، فقال : « يا فتى لقد شَققتَ عليَّ . أنا هنا مُنذُ ثلاثٍ أنتظِرُكَ » .

حسن وفائه

وعن(٣) أنس رضي اللهُ عنهُ « كان النبيُّ صلى اللهَ عليه وسلَّم إذا أُتي بهديَّة ، قال : اذهبُوا بها إلى بيت فلانَة ، فإنَّها كانت

(١) هذا الحديث رواه أبو داود وهو من افراده . وأخرجه أيضا ابنُ مَنْدَة في المعرفة والخرائطي في مكارم الأخلاق .
(٢) العامري الصحابي وقد قيل: إنَّه عبد الله بن أبي الجدعاء التميمي ويقال الكناني الذي ذكره البخاري في الصحابة .
(٣) كما رواه البخاري في الأدب المفرد .

صديقة لخديجة . إنها كانت تحب خديجة .

وعن(١) عائشة رضي اللهُ عنها : قالت : ما غرتُ على امرأةٍ ما غرتُ على خديجةَ لما كنتُ أسمعُه يذكُرُها . وإن كانَ ليذبحُ الشاة فيهديها إلى خلائلها .

ـ واستأذنت عليه أختها(٢) فارتاح إليها(٣) .

ـ ودخلت عليه امرأةٌ فهشَّ لها . وأحسنَ السؤال عنها فلما خرجت ، قال : « إنها كانت تأتينا أيام خديجة . وإن حُسنَ العهد من الإيمان(٤) » . ووصفه بعضهم فقال : كان يصل ذوي رحمه ، من غير أن يؤثرهم على من هو أفضلُ منهم .

حسن العهد من الإيمان

وقال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ آل بني فلان(٥) ليسوا لي بأولياء(٦) غير أنَّ لهم

صلته الرحم ان لهم رحما

(١) كما في الصحيحين .
(٢) وهي الصحابية هالة بنت خويلد بن أسد أم أبي العاص بن الربيع . زوج زينب بنته صلى الله عليه وسلم .
(٣) وهذا الحديث في البخاري .
(٤) رواه الحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعا .
(٥) أي أبو العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .
(٦) أي لا أتولاهم ولا أحسبهم أوليائي لما علمت منهم والمراد بذلك القدح .

رحماً سأبُلّها ببلالها(١) » .

ـ وقد(٢) صلّى عليه الصلاة والسلا
بأمامة(٣) ابنة ابنته زينب يحملها على
عاتقه . فإذا سجد وضعها . وإذا قا
حملها .

حسن مقابلته للإحسان

وعن(٤) أبي قتادة : وفد وفد للنجاشي
فقام النبي صلى الله عليه وسلم يَخْدُمهم فقال
له أصحابه : نكفيك .

فقال : « إنهم كانوا لأصحابنا مُكرمين .
وإني أكافئهم » .

ـ ولمّا جيء بأخته من الرضاعة .
الشيماء في سبايا هوزان . وتعرفت له .
بسط لها رداءه . وقال لها : إنْ أحببت
أقمت عندي مُكْرَمة مُحبّة . أو متّعتك
ورجعت إلى قومك » فاختارت قومها
فمتّعها »(٥) .

---

(١) رواه الشيخان .
(٢) رواه الشيخان .
(٣) وهي بنت أبي العاص بن الربيع وكان صلى الله عليه وسلم يحبها وتزوجها علي رضي الله عنه بعد فاطمة رضي الله عنها ثم تزوجها بعده المغيرة بن نوفل فماتت عنده .
(٤) كما رواه البيهقي .
(٥) الحديث رواه ابن أسحق والبيهقي . ومعنى فمتعها : أي فزودها وأعطاها أشياء تتمتع بها فقيل أعطاها غلاماً وجارية .

وقال(١) أبو الطُّفيل(٢) : رأيت النَّبي صلى اللَّه عليه وسلَّم(٣) ، وأنا غلام'' ، إذ أقبلت امرأة'' حتَّى دنَت منه ، فبسطَ لها بره برضعته رداءه' فجلست عليه فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمُّه الَّتي أرضَعَته' .

وفي حديث خديجةَ(٤) رضيَ اللَّه عنها : أنَّها قالت له صلى اللَّه عليه وسلَّم : أبشِر ، فواللَّه لا يُخزيك اللَّه أبَداً ، إنَّك لتَصِلُ' الرحِمَ ، وتَحملُ' الكَلَّ(٥) وتَكْسِبُ' المعدومَ وتَقْري الضَّيفَ ، وتُعينُ' على نَوائِبِ الحَق .

---

(١) رواه ابو داود بسند حسن .
(٢) هو عامر بن واثلة .
(٣) وكان بالجعرانة يقسم لحماً .
(٤) كما رواه الشيخان .
(٥) الكَلّ : ثقيل الحمل ، العاجز عن تحمله .

الفصل التّاسع عشر

التواضُع

كان أشد الناس تواضعاً

وأما تواضُعُه صلى اللهَ عليه وسَلَّم على عُلُو مَنصبِه ورفعَة رتبته . فكان أشَدَّ النَّاس تَواضُعاً وأعدمَهُم كِبراً .

اختار أن يكون نبيا عبداً

ـ وحَسبُك أنّه(١) خُيِّر بين أن يكونَ نبيّاً مَلِكاً أو نبيّاً عَبداً ، فاختار أن يكون نبيّاً عبداً . فقال له إسرافيل عند ذلك : فإنّ اللهَ قَد أعطاكَ بما تواضعت له أنَّكَ سيِّدُ ولد آدم يومَ القيامَةِ(٢) ، وأولُ مَن تَنْشَقُّ الأرضُ عنه ، وأولُ شافِعٍ .

وعن(٣) أبي أُمَامَةَ قال : خرجَ علينا رسولُ اللهَ صلى اللهَ عليه وسَلَّم مُتَوكّئاً

(١) رواه احمد والبيهقي .

(٢) رواه ابو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

(٣) هذا الحديث رواه أبو داود وابن ماجة مسنداً والاقرب أن يحمل هذا النهي على التنزيه . والحكمة منه أن النبي صلى الله عليه وسلم خشي أن يتخذوه سنّة ثابتة وكان لا يحب التشبه بأهل الضلالة .

لا تقوموا كما يقوم الأعاجم

على عصا ، فقمْنَا له . فقال : « لا تَقُوموا كما يَقُومُ الأعاجِمُ يُعَظِّمُ بعضهم بعضاً » .

انما أنا عبد

وقال : « إنَّما أنا عبدٌ . آكُلُ كما يأكُلُ العبدُ ، وأجلِس كما يَجلِس العبد» .

ـ وكان صلى اللَّه عليه وسلَّم يركبُ الحمارَ ، ويُرْدِفُ خلفَهُ . ويعودُ المساكين . ويجالسُ الفقَراءَ ويُجيبُ دعوةَ العَبد . ويجلسُ بين أصحَابِه مختلِطاً بهم . حيثُما انتهى به المجلسُ(١) جلَس .

وفي حديث(٢) عمر رضي اللَّه عنه . عن النبيِّ صلى اللَّه عليه وسلَّم : « لا تُطروني كما أطرت النَّصارى ابنَ مريم . إنَّما أنا عبدٌ فقولوا : عبدُ اللَّه ورسُوله » .

وعن(٣) أنس رضي اللَّه عنه : أن امرأة كان في عقلها شيءٌ جاءته . فقالت : إنَّ لي إليك حاجة . قال : اجلسي يا أم فلان . في

(١) كما في حديث هند بن أبي هالة .
(٢) على ما روى البخاري .
(٣) رواه مسلم .

أي طرق المدينة شئتِ أجلس إليكِ حتى أقضي حاجتَك » .

قال : فجلسَت . فجلس النبي صلى الله عليه وسلّم اليها حتّى فَرغت من حاجتِها .

يركب الحمار

قال(١) أنس رضيَ اللّه عنه : كان رسولُ اللّه صَلى الله عليه وسَلّم يركبُ الحمارَ ، ويجيبُ دعوة العبد .

ـ وكان يوم بني قُريظةَ على حمار مخطُوم(٢) بحبلٍ من ليفٍ عليه إكاف(٣) قال : كان يُدعى إلى خُبز الشّعير والإهالة(٤) السَّنِخَة(٥) فيجيب .

حج عليه الصلاة والسلام على رحل رث

قال(٦) وحَجَّ النبي صلى اللّه عليه وسَلّم على رحل رثّ . وعليه قَطيفة ما تُساوي أربعةَ دراهم . فقال : « اللّهم اجعَله حَجّاً مبروراً ، لا رياءَ فيه ولا سُمعَةَ » .

(١) رواه أبو داود والبيهقي .
(٢) مخطوم : اي في راسه خطام وهو الزمام .
(٣) اكاف : بردعة .
(٤) الإهالة : بكسر الهمزة وتخفيف الهاء، كل ما يؤتدم به من إدام . وقيل:الشحم والالية المذابة .
(٥) السنخة : بفتح فكسر اي متغيرة الرائحة .
(٦) اي انس .

ـ هـذا ، وقـد فُتِحَت عليه الأرضُ ، وأهدى(١) في حَجَّةِ ذلكَ مِئَةَ بدنة .

تواضعه عند الفتح

ولمَّا(٢) فُتِحَت عليـه مكَّةُ ، ودخلهـا بجيوش طَأطأ عـلى رحلهِ رأسَهُ حتَّى كادَ يَمَسُّ قادِمتَهُ تواضُعاً للهِ تعالى .

قيامه صلى الله عليه وسلم باعمال البيت

وعن(٣) عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم رضي اللهُ عنهم : في صفته .. وبعضُهم يزيد على بعض : كان في بَيته في مهنة أهله ، يَفْلِي ثـوبه ، ويحلُب شَـاتَه ، ويَرْقَعُ ثـوبه ، ويخصِفُ نعله ، ويخدُم نفسه ، ويقُمُّ البيت ، ويعقِلُ البعـير ويعلِف ناضحَهُ ويأكُلُ مع الخـادم ، ويعجِنُ معهـا ويحمل بضاعته من السوق .

وعن(٤) أنس رضيَ اللهُ عنـه : ان كانت الأمَةُ من إماءِ أهلِ المدينة لتأخذُ بيد رسول اللهَّ صلى اللهُ عليـه وسَلَّم فتنطلقُ به حيثُ شاءت حتَّى تقضي حاجتها .

---

(١) كما رواه مسلم عنه .
(٢) رواه ابن إسحق والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها . والحاكم والبيهقي وابو يعلى عن أنس رضي الله عنه .
(٣) رواه البخاري وغيره .
(٤) رواه البخاري في الادب تعليقا ووصله ابن ماجة .

الفصــل العشرون

العدلُ والأمانةُ والعفَّةُ وصدقُ اللهجة

أعـــداؤه يعترفــون له بذلك

وأمَّا عدلُه صلى اللهَ عليه وسَلَّم وأمانتُه، وعفّتُه وصدقُ لهجتِه . فكان صلى اللّه عليه وسَلَّم آمَنَ النَّاس ، وأعدلَ الناس ، وأعفَّ النَّاسِ ، وأصدقَهُم لهجةً منذ كان ، اعترفَ له بذلكَ محادُّوه(١) وعِداه .

ـ وكانَ يُسَمَّى قبل نُبُوَّته «الأمين» .

قال(٢) ابنُ إســحق : كان يسمَّى الأمين ، بما جمع اللهُ فيه من الأخلاق الصَّالحة .

وقال تعالى : « مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ »(٣) .

أكثـرُ المفسّـرين : عـلى أنَّه محمَّدٌ صلى اللهَ عليه وسَلَّم .

---

(١) محادّوه : مخالفوه .
(٢) رواه أحمد في مسنده والحاكم والطبراني عن علي رضي الله عنه .
(٣) سورة التكوير : آية ٢١ .

تحكيمه في الجاهلية لرفع الحجر

ـ ولمَّا(١) اختلفَت قريش وتحازبت(٢) عند بناء الكَعبَة فيمن يضع الحجر ، حكَّموا أول داخل عليهم ، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلَّم داخل وذلك قبل نبُوته فقالوا : هذا محمَّد . هذا الأمين ، قد رضينا به .

وقال صلى اللَّه عليه وسلَّم(٣) : «واللَّه إِنِّي لأمينٌ في السماء ، أمينٌ في الأرض» .

لا يكذبونه ولكن يكذبون بما جاء به

وعن(٤) عليّ رضي اللَّه عنه : أنَّ أبا جَهلٍ قال للنبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : إنَّا لا نكَذِّبُكَ ، ولكن نكَذِّبُ بما جئت به ، فأنزل اللَّه تعالى : « فإنَّهم لا يُكَذِّبُونَكَ ... »(٥) الآية .

وقيل(٦) : إِنَّ الأخنس بنَ شَريق لقِي أبا جَهْلٍ يومَ بدرٍ فقال له : يا أبا الحَكم : ليس هناك غَيري وغَيرك يسمع كلامنا . تخبرني عن محمَّدٍ ، صادق هو أم كاذب ؟

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه الطبراني وابن ماجَه وابن راهويه وابن أبي أمامة .
(٢) أي صارت أحزاباً وفرقاً .
(٣) رواه ابن أبي شيبة في مسنده عن أبي رافع .
(٤) رواه الترمذي .
(٥) « ... وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ » سورة الأنعام : آية ٣٣ .
(٦) أخرجه ابن اسحق والبيهقي عن الزهري . وكذا ابن جرير عن السدي ، والطبراني في الأوسط .

فقال أبو جهل : واللّٰه إن محمداً لصادق وما كذب محمدٌ قطُّ .

هرقل يسأل عن صدقه

وسأل هرقل(١) عنه أبا سفيان فقال(٢) : هل كُنتم تَتَّهمونه بالكَذب قبل أن يقول ما قال ؟. قال : لا ...

أصدقكم حديثاً

وقال(٣) النَّضْر بن الحارث لقريش : قد كان محمَّد فيكم غلاماً حَدَثاً ، أرضاكم فيكم ، وأصدقُكم حديثاً ، وأعظمُكم أمانةً ، حتى إذا رأيتم في صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ ، وجاءكم بما جاءكم به قلتم : ساحر !! لا واللّٰه ما هو بساحر ..

وفي الحديث(٤) عنه : ما لَمَسَت يده يد امرأة قطُّ لا يملك رقها .

وفي حديث(٥) علي رضي اللّٰه عنه في وصفه صلى اللّٰه عليه وسلّم : أصدق النَّاس لهجة ...

وقال في الصحيح(٦) : ويحك(٧) فمن يعدل

(١) ملك الروم آنئذ .
(٢) رواه الشيخان ، والقصة مفصلة في أول البخاري .
(٣) رواه ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس .
(٤) رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها .
(٥) رواه الترمذي في شمائله .
(٦) في الحديث الصحيح وقد تقدم .
(٧) والذي في البخاري في باب الأدب « ويلك » بدل « ويحك » و (ويل) كلمة زجر وتوبيخ ، و (ويح) كلمة ترحم . و (ويس) كلمة ترحم دونها .

إنْ لم أعدل . خبت وخسرت إنْ لم أعدل » .

كان يختار ايسر الامرين ما لم يكن اثما

قالت(١) عائشة رضيَ اللّه عنها : ما خُيِّر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم في أمرين إلاّ اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثماً فان كان إثماً كان أبعدَ النّاس منه .

وقال أبو العبّاس المبرّد : قسّم كسرى(٢) أيامه . فقال : يصلح يوم الريحِ للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للشرب واللّهو ، ويوم الشمس للحوائج .

قال ابن خالَوَيْهْ : ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، « يَعلَمُونَ ظاهِراً منَ الحياةِ الدُّنيا ، وهُم عَن الآخِرةِ هُم غَافِلون»(٣) .

تجزيه اوقاته

ـ ولكنِ نبيّنا صلى الله عليه وسَلّم جزَّأ(٤) نهاره ثلاثةَ أجزاءٍ ، جُزءٌ للّه ، وجُزءٌ لأهله ، وجُزءٌ لنفسه .

ثم جزَّأه بينه وبين النّاس ، فكان يستعين

(١) على ما سبق من رواية الترمذي وغيره عنها .
(٢) ملك الفرس و « كسرى » لقب لكل من ملكهم .
(٣) سورة الروم : آية ٧ .
(٤) حديث انه جزا نهاره هو بعض حديث هند بن ابي هالة رضي الله عنه .

بلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي

بالخاصة على العامة . ويقول(١) : « أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي ، فإنَّه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه اللهُ يوم الفزع الأكبر » .

وعن(٢) الحسن كان رسول اللهَ صلى اللهَ عليه وسَلَّم لا يأخذ أحداً بِقَرْفٍ(٣) أحد ، ولا يُصَدِّقُ أحداً على أحدٍ .

(١) رواه الطبراني في الكبير بسند حسن عن أبي الدرداء ولفظه : ثبت الله قدميه على الصراط المستقيم يوم القيامة . وكذا لفظ الترمذي في الشمائل برواية الحسن عن أخيه الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم
(٢) رواه أبو داود في مراسيله .
(٣) بقَرْف : بذنب .

الفصل الحادي والعشرون

الوقار والصَّمت والتُّؤَدَة والمروءة وحُسن الهدي

كان اوقر الناس في مجلسه

وأما وقاره صلى اللهَّ عليه وسَلَّم وصمته وتُؤَدَتُه ومرءوته وحُسن هديه . فعن(١) عمر ابنِ عبدِ العزيز بنِ وُهَيْبٍ : سمعتُ خارجةَ ابنَ زيدٍ يقول : « كان النبيُّ صلى اللهَّ عليه وسَلَّم أوقَرَ النَّاس في مجلسه ، لا يكادُ يُخرج شيئاً من أطرافه .

اكثر جلوسه محتبيا

وروى(٢) أبو سَعيد الخُدريُّ رضيَ اللهَّ عنه : كان رسول اللهَّ صلى اللهَّ عليه وسَلَّم إذا جلس في المجلس احتَبى بيَديه ، وكذلك كان أكثر جُلوسه صَلَّى اللهَّ عليه وسَلَّم محتبياً .

كان كثير السكوت

وعن(٣) جابر بن سَمُرة أنَّه تربَّع وربما

(١) رواه أبو داود مرسلاً .
(٢) رواه أبو داود والترمذي في شمائله .
(٣) رواه مسلم وأبو داود .

جلس القُرْفُصَاءَ وهو في حديث قَيْلَةَ(١) وكان كثيرَ السُّكوت ، لا يتكلّمُ في غير حاجة . يُعْرِضُ عَمَّن تكلم بغيرِ جميلٍ .

ضحكه التبسم

وكان ضَحِكُه(٢) تَبَسُّماً ، وكلامُه فَصْلاً ، لا فُضُولَ ولا تقصيرَ . وكان ضَحِكُ أصحابه عندَهُ التَّبَسُّم توقيراً له واقتداءً به .

مجلسُه مجلسُ حِلْمٍ وحَيَاءٍ وخَيْرٍ وأمانَةٍ ، لا تُرفَعُ فيه الأصْوَاتُ ولا تُؤبَنُ(٣) فيه الحُرَم ، إذا تكلَّم أطْرَقَ جُلسَاؤه كأنّما على رؤوسهم الطّيْرُ .

وفي صفته(٤) : يخطو تَكَفُّؤاً(٥) ويمشي هَوْناً ، كأنّما يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ(٦) .

وفي الحديث الآخر : اذا مشى مشى مجتمعاً ، يُعرف في مشيَته أنّه غيرُ غَرِضٍ(٧) ولا وَكَلٍ(٨) . أي غيرُ ضَجِرٍ ولا كَسْلان .

---

(١) رواه الترمذي .
(٢) شمائل الترمذي .
(٣) تؤبن : لا ترمي بصريح ولا تذكر بقبيح .
(٤) كما في الشمائل .
(٥) تكفؤا : اي مائلا للامام .
(٦) صبب : منحدر .
(٧) الغرض : الضّجِر الملول .
(٨) وَكَلٍ : عاجز .

وقال(١) عبدُ اللهَ بنُ مسعود : إنَّ أحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّدٍ صَلَّى اللهَ عليه وسَلَّم .

وعن(٢) جابرِ بنِ عبد اللهَ : كان في كلام رسول اللهَ صَلَّى اللهَ عليه وسَلَّم ترتيلٌ وترسيلٌ(٣) .

كان سكوته على اربع حالات

قال ابنُ أبي هالةَ : كانَ سُكوتُهُ على أربع : على الحِلمِ ، والحَذرِ ، والتَّقديرِ ، والتَّفكيرِ .

كلامه

قالت(٤) عائشةُ رضيَ اللهَ عنها : كان رسولُ اللهَ صَلَّى اللهَ عليه وسَلَّم يُحدِّثُ حديثاً لو عَدَّهُ العَادُّ أحصاه .

ما حبب إليه من الدنيا

وكان صَلَّى اللهَ عليه وسَلَّم يحبُّ الطِّيبَ والرائحَةَ الحسنَةَ ، ويستعملُها كثيراً ويحضُّ عليهما ويقولُ(٥) : « حُبِّبَ إليَّ من دنياكُم النِّساءُ والطِّيبُ ، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصَّلاةِ » .

(١) رواه البخاري موقوفا .
(٢) رواه أبو داود والامام أحمد في الزهد .
(٣) ترسيل : عطف تفسير لترتيل .
(٤) رواه الشيخان .
(٥) كما رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث انس بإسنادٍ جيِّدٍ .

ـ ومن مروءته صَلّى اللهَ عليه وسَلّم نهيُه(١) عن النّفخِ في الطّعام والشراب ، والأمرُ بالأكلِ ممّا يلي(٢) ، والأمرُ بالسّواكِ ، وإنقاءُ البراجِمِ(٣) والرواجِبِ(٤) ، واستعمالُ خصال الفِطرةِ(٥) .

استعماله خصال الفطرة

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجَهْ وصَحّحَهُ .
(٢) لحديث الشيخين : سَمِّ الله . وكلْ بيمينك وكل مما يليك .
(٣) البراجم : جمع برجمة ، مفصل الاصابع من ظاهر الكف .
(٤) رواجب : جمع راجبة ، مفصل الاصابع من باطن الكف .
(٥) وهي فيما رواه الشيخان خمس : الختان ـ والاستحداد ـ وقصُّ الشارب ـ وتقليم الاظافر ـ ونتف الابط ـ (زاد مسلم) : المضمضة ـ وإعفاء اللحية ـ والاستنجاء . (وأبو داود) من حديث عمار . الانتضاح . ومن حديث ابنُ عباس رضي الله عنهما فرق الرأس ـ هذا والاستنشاق في معنى المضمضة .

الفصل الثاني والعشرون

الزهدُ في الدنيا

وأمَّا زهدهُ في الدنيـا ، فَقد تَقدَّمَ من الأخبار أثناء هذه السِّيرة ما يكفي .

توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله

وحَسبُك من تقلُّلهِ منهـا ، وإعراضهِ عن زهرتها ، وقد سِيقَتْ إليـه بحذافيرِها ، وترادفَت عليه فُتوحُها إلى أنْ تُوُفيَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم ودرعُهُ(١) مرهونَةٌ عند يهودي في نَفَقةِ عيالـهِ ، وهو يدعـو ويقـول(٢) : « اللَّهُمَ اجعل رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً » .

ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً

عن(٣) عائشةَ رضي اللهُ عنهـا قالت : ما شَبِعَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثلاثةَ أيَّامٍ تِباعاً من خُبزٍ حتَّى مضى لسبيلِـهِ .

(١) وهو حديث صحيح رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها .
(٢) كما رواه الشيخان . وفي رواية مسلم والترمذي وابن ماجَهْ : اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتاً .
(٣) أخرجه البخاري . وهو في أواخر مسلم وقد رواه غيرهما أيضاً .

وفي رواية أخرى(١) : مِن خُبزِ شَعيرٍ يومين مُتَواليَين ، ولو شاءَ لأعطاهُ اللّهُ ما لا يَخطُر ببالٍ .

وفي روايةٍ أخرى(٢) : ما شبعَ آلُ رسولِ اللّهِ صَلى الله عليهِ وسَلَّم من خبز بُرٍّ ، حتَّى لَقِيَ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ .

وقالت(٣) عائشةُ رضي اللّهَ عنها : ما ترك رسولُ اللّهَ صَلَّى اللّهَ عليه وسَلَّم ديناراً ، ولا درهماً . ولا شاة ، ولا بعيراً .

وفي حديث(٤) عمرو بنِ الحارث : ما تركَ رسولُ اللّهَ صَلَّى اللّهَ عليه وسَلَّم إِلاَّ سلاحَهُ وَبَغْلَتَهُ(٥) وأرضاً جَعَلَها صدقةً .

وقالت(٦) عائشةُ رضيَ اللّهُ عنها : ولقد ماتَ وما في بَيتي شيءٌ يأكُلُهُ ذو كَبِدٍ إِلاَّ شَطْرَ(٧) شعيرٍ في رَفٍّ لي .

(١) للبخاري .
(٢) للشيخين .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه البخاري عنه .
(٥) وهذا مما علقه الحلبي على البخاري .
(٦) رواه الشيخان .
(٧) الشطر : النصف والمراد به هنا المد أو الصاع .

أجوع يوماً واشبع يوما

وقالَ لي(١) : « إنّي عُرِضَ عليَّ أن تُجعَلَ لي بطحاءُ مكَّةَ ذهباً فقلتُ : لا يارب ، أجوعُ يوماً ، وأشبعُ يوماً . فأمَّا اليوم الَّذي أجوعُ فيه ، فأتضرَّعُ إليك وأدعوكَ ، وأمَّا اليوم الذي أشبعُ فيه فأحمَدُكَ وأُثني عليكَ » .

وفي حديثٍ(٢) آخر : أن جبريلَ نَزلَ عليه فقالَ لهُ : إنَّ اللهَ تعالى يُقرئك السَّلامَ ويقولُ لكَ : أتُحِبُ أن أجعَلَ هذه الجِبالَ ذهَباً ، وتكونَ معكَ حيثُما كُنت . فأطرق ساعة ، ثُم قال : « يا جبريلُ إنَّ الدنيا دارُ من لا دارَ لَهُ . ومالُ من لا مالَ لَهُ ، قد يجمعُها من لا عَقلَ لَهُ » .

الدنيا دار من لا دار له

فقال له جبريلُ : ثبَّتَكَ اللهُ يا محمَّدُ بالقولِ الثَّابتِ .

(١) أخرجه الترمذي عن أبي أمامة . وقال هذا حديث حسن ، بلفظ :(عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً . قلت:لا ياربي ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً وقال: ثلاثاً أو نحو هذا . فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك . وإذا شبعت شكرتك وحمدتك) .

(٢) قال الدلجي : لا أدري من رواه بهذا اللفظ وقال السيوطي رحمه الله لم أجده هكذا . ولكن البيهقي رحمه الله تعالى أخرجه في الزهد من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : « ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً : ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق . فاتاه إسرافيل عليه الصلاة والسلام فقال : إن الله سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح الارض وامرني ان أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت » . ونحوه أخرجه ابن سعد وابن عساكر في تاريخه والطبراني وأخرج أحمد حديث : (الدنيا دار من لا دار له) .

وعن(١) عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت : إِنْ كُنَّا آل مُحمَّد لَنَمكثُ شهراً ما نَسْتَوْقِدُ ناراً إِنْ هُوَ إلا التَّمرُ والماءُ(٢) .

عدد من الروايات في قوته وقوت أهله

وعن(٣) عبدِ الرحمَن بنِ عَوفٍ رضي الله عنه : هلَكَ رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلَّم ولم يَشبعَ هُوَ وأهلُ بيتِهِ من خُبزِ الشَّعيرِ .

وعن عَائِشَةَ وأبي أمامةَ وابنِ عبَّاس رضي اللَّه عنهم : نحوهُ .

قال(٤) ابنُ عَبَّاسٍ رضيَ اللَّه عَنهُ : كان رسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسَلَّم يَبيتُ هُوَ وأهلُه الليالِيَ المُتَتَابِعةَ طاوياً ، لا يجِدون عَشَاءً .

وعن(٥) أنس رضي اللَّه عَنهُ قال :ما أَكَلَ رسولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسَلَّم على خِوانٍ(٦) .

(١) رواه الشيخان .
(٢) وفي رواية: الأسودان .
(٣) رواه الترمذيُّ والبزارُ بسندٍ صحيحٍ .
(٤) رواه ابن ماجَهْ والترمذي وصححه .
(٥) رواه البخاري .
(٦) المائدة المرتفعة .

ولا في سُكُرُّجَة(١) ولا خُبِزَ له مُرقّق'' ولا رأى شَاةً سَمِيطاً(٢) قطُّ .

فراشه أدَم حشوه ليف

وعن(٣) عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : إنّما كانَ فِراشُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الذي ينامُ عليه أَدَماً(٤) حَشْوُهُ ليف'' .

وعن حَفْصَةَ(٥) رضيَ اللهُ عنها قالت : كانَ فراشُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في بيته مِسْحاً(٦) نَثنيه ثِنْيَتَيْنِ ، فينامُ عليه فَثَنيناه له ليلةً بأربعٍ فلمَّا أصبحَ قال : «ما فرشْتُم لي الليلة؟» فذكرنا ذلك له فقال : « رُدُّوه بحالِه . فإنَّ وَطْأَتَه مَنَعَتْني الليلةَ صلاتي » .

وطاته منعتني الليلة صلاتي

ــ وكانَ(٧) ينامُ أحياناً على سريرٍ مَرمُولٍ(٨) بشريطٍ حتَّى يؤثِّر في جَنْبِه .

(١) سكرجة : فارسية .. الاناء الصغير يؤكل فيه الادم وأكثر ما يوضع فيه المخللات والمرغبات .
(٢) السميط : المشوي بجلده .
(٣) برواية الصحيحين .
(٤) بفتح الهمزة والدال اسم جمع لأديم وهو الجلد المدبوغ اللين .
(٥) رواه الترمذي في الشمائل .
(٦) مِسْحاً : هو ثوب معدّ للفراش شبه الكساء ويقال له حنبل .
(٧) رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه .
(٨) مرمول : منسوج بحبل مفتول بسعف .

الفصل الثالث والعشرون

الخوفُ من الله والطّاعةُ له

وشدةُ العِبَادةِ

صلته بربه على قدر علمه به

وأمّا خَوفُهُ من ربّهِ ، وطاعتُه لَهُ ، وَشِدَّةُ عبادتِهِ ، فعلى قَدْرِ عِلْمِهِ بربّه .

عن(١) أبي هُـرَيرَةَ رضي اللهُ عنـهُ كان يقول :

قال رسُولُ اللهَ صَلّىَ اللهَ عليه وسَلّم : « لو تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لضحِكتُم قَلِيلاً ولبَكَيْتُم كثيراً » .

زاد(٢) في روايتنا عن أبي عيسى التّرمذيِّ رفعه إلى أبي ذَرٍّ رضيَ اللهَ عنه(٣) « إنّي

(١) أخرجه البخاريُّ في الرقائق وروى أحمد والبخاريُّ ايضا ومسلم والترمذيُّ والنسائي وابنُ ماجَهْ عن انس ، وزاد الحاكمُ عن أبي ذرٍّ (ولمّا ساغَ لكُم الطعامُ ولا الشراب) . رواه الطبرانيُّ والحاكمُ والبيهقيُّ عن أبي الدرداء بزيادة: « ولخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله تعالى لا تدرون تنجون او لا تنجون » .

(٢) زاد شيخنا او بعض مشايخنا .

(٣) مرفوعا كما صرح به الترمذي في الزهد وقال : حسن غريب . ويروى عن ابي ذرٍّ موقوفا . وأخرج ابن ماجَهْ فيه نحوه ، ورواه محمد بن حميد الرازي ورفعه ايضا .

أرى ما لا تَرونَ وأسمَعُ ما لا تسمعُونَ ، أَطَّت(١) السَّماواتُ ، وحُقَّ لهـا أن تَئطَّ . ما فيهـا موضـعُ أربعِ أصابِعَ إلا ومَلَكٌ واضـعٌ جبهتَـهُ سَـاجداً لِلّه . واللّه لـو تَعلمُونَ ما أعلَمُ لضحكتُم قليـلاً ولبكَيْتم كثيراً . وما تَلَذَّذْتُم بالنِّساء على الفُرُشِ . ولَخَرَجْتُم إلى الصُّعُدات تَجْأَرُونَ إلى اللّهِ . لودِدتُ أنّي شجرةٌ تُعضَدُ » .

روي هـذا الـكلام :« وَدِدْتُ أَنّي شَجَرةٌ تُعضَدُ » من قـول أبي ذرٍّ نَفْسِهِ(٢) وهُو أَصَحُّ .

وفي حديثِ(٣) المُغيرَةِ : صَلَّى رسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عليه وسلَّم حتَّى انتفخت قدماه .

قام حتى تورمت قدماه

وفي رواية(٤) : كان يُصَلِّي حتَّى تَرِمَ قدماه . فقيل له : أتُكلَّفُ هذا ، وقد غُفِرَ لَكَ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟!

قال : « أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً » !!

أفلا أكون عبدا شكورا

(١) أطَّت : أحدثت صوتا لِقُوَّةِ ما فوقها من ثِقَلٍ .
(٢) فهو كلام مُدْرج .
(٣) رواه الشيخان وغيرهما .
(٤) اي لهما عنه .

وعن(١) أبي سَلَمةَ وأبي هُريرةَ رضي اللهُ عنهما نحوُهُ .

وقالت(٢) عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : كان عملُ رسول اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم دِيْمَةً وأيُّكم يُطِيقُ ما كانَ يُطِيقُ ؟

وقالت(٣) : كان يَصُومُ حتَّى نَقُولَ : لا يُفطِر ويُفطِرُ حتَّى نقولَ : لا يصومُ .

وعن(٤) ابنِ عبَّاسٍ وأُمِّ سَلَمةَ وأَنسٍ رضي اللهُ عنهم نحوُه .

وقال : كُنْتَ لا تشاءُ أَنْ تراهُ في اللَّيل مُصَلِّياً إلاَّ رأيتَهُ مُصلِّياً ، ولا نائماً إلاَّ رأيتَهُ نائماً .

صلاته صلى الله عليه وسلم في الليل

وقال(٥) عوفُ بنُ مالك رضي اللهُ عنه : كنتُ معَ رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليلة ، فاستاك ، ثُمَّ توضَّأ ، ثُمَّ قام يصلِّي ،

(١) الذي في الشمائل للترمذي : عن أبي سلمة عن أبي هريرة .
(٢) رواه الشيخان .
(٣) فيما روياه عنها ايضا .
(٤) حديث ابن عباس اخرجه الشيخان . وحديث أم سلمة اخرجه الترمذي والنسائي، وحديث أنس اخرجه البخاري والترمذي .
(٥) رواه ابو داود والنسائي .

فقُمْتُ معه . فبدأ فاستفتحَ البَقَرةَ ، فلا يَمُرُّ بآيةِ رحْمَةٍ إلاَّ وقَفَ فَسأَلَ ، ولا يمُرُّ بآيةِ عَذابٍ إلاَّ وقَفَ فتعوَّذَ . ثُمَّ ركَعَ فمكَثَ بِقَدْرِ قيامه يقولُ : « سُبْحَانَ ذي الجَبَرُوت والمَلَكُوت والكِبْرِياءِ والعَظَمَة » ، ثُمَّ سَجَدَ . وقال مثل ذلك . ثُمَّ قرأ آلَ عِمران، ثُمَّ سورةً سورةً يفعلُ مثل ذلك .

وعن حُذيفةَ رضي اللهُ عنه : مِثلُه(١) وقال : « سَجَدَ نَحْواً من قيامِه ، وجلسَ بين السَّجْدَتَين نَحواً منه ، وقال : حتَّى قرأ البقَرةَ وآلَ عِمرانَ والنِّساءَ والمائِدَةَ » .

وعن(٢) عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت : قامَ رَسُولُ اللهَّ صلَّى اللهَّ عليه وسلَّم بآيةٍ من القُرآن ليلةً .

وعن(٣) عبد الله بن الشِّخِّيرِ رضيَ الله عنه : أتَيْتُ رسولَ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عليه وسلَّمَ

---

(١) مثل حديث عوف كما في مسلم .
(٢) برواية الترمذي عن عائشة وأخرجه أحمد والنسائي بسندٍ صحيحٍ عن أبي ذر رضي الله عنه وفسر الآية : (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) .
(٣) رواه أبو داود والترمذي والنسائي .

(٢١٦)

وهــو يـصـلّي ، وَلِجَوْفِـهِ أَزِيــز" كأزيزِ المِرجَلِ .

وقال صَــلّى اللهُ عليــه وسَلّم(١) : « إِنّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليَوْمِ مِـئَـةَ مَرَّةٍ » .

وروي(٢) « سبعين مَرَّة » .

---

(١) رواه مسلم وغيره .
(٢) كما في البخاري والترمذي .

الفصل الرابع والعشرون

حديث الحَسَن عن ابنِ أبي هالةَ

في جمع (الشَمائِلِ)

قــد أتينـاكَ ـ أَكْـرَمكَ اللهُ ـ مِن ذكرِ الأخـلاقِ الحَميـدةِ والفضـائـلِ المجيـدةِ ، وخِصـالِ الكَمال العديدةِ ، وأَرَيْناك صِحتَها له صَلَّى اللهَ عليـه وسَلَّم وجَلَبْنَا من الآثارِ ما فيهِ مَقنَع ، والأمر في مناقبه أوسع .

ـ فمجالُ هـذا البـاب في حَقهِ صَلَّى اللهُ عليـه وسَلَّم مُمتَد ، يَنْقَطِعُ دون نَفَـادِهِ الأَدِلاءُ ، وبحـرُ عِلْمِ خصائـصِه زاخِـرَة لا تُكَـدِّرُهُ الـدِّلاءُ ، ولكـنَّـا أتينـا فيـه بالمعـروفِ مِمَّـا أكثَـرُهُ في الصَّحيـح ، والمشهورِ من المُصَنَّفات واقتَصرنا في ذلك بِقُلٍّ مِن كُلٍّ ، وغَيْضٍ(١) من فَيْضٍ(٢) . ورأينا أن نَختِمَ هذه الفُصُول بِذكرِ حديثِ

(١) غيض : قليل .
(٢) فيض : كثير .

الحسنِ عن ابن أبي هالة(١) لجمعه من شَمَائله وأوصافه كثيراً ، وإدماجه جُملةً كافيةً من سِيَره وفضائله . ونَصِلُه بِتَنْبيهٍ لطيفٍ على غريبِهِ(٢) ومُشْكِلِه(٣) .

قال الحسنُ بنُ عليٍّ : ـ واللَّفْظُ لهذا السَّنَدِ(٤) ـ سألتُ خَالي هندَ بنَ أبي هالة عن حِلْيةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم وكانَ وَصَّافاً ، وأنا أرجو أن يَصِفَ لي منها شيئاً أتَعَلَّقُ به . قال : كان رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم فَخْماً(٥) مُفخَّماً(٦) يَتَلأْلأُ وَجْهُه تَلأْلُؤَ القَمَرِ ليلةَ البَدْرِ ، أطولُ من المربُوعِ ، وأَقْصَرُ من المُشَذَّبِ(٧) ، عظيمُ الهامَة .

وجهه صلى الله عليه وسلم

طوله صلى الله عليه وسلم

شعره صلى الله عليه وسلم

رَجِلَ الشَّعَرِ ، إن انفرقَت عَقِيقتُه(٨)

---

(١) رواه الترمذي في شمائله واخرجه ابن سعيد ، والبيهقي ، والطبراني . ورواه المصنف رحمه الله تعالى عن مشايخه .

(٢) غريبه : من جهة المبنى .

(٣) مشكله : من جهة المعنى .

(٤) لأن للحديث اسنادين وهذا الاسناد الاخير قال عنه التلمساني : هذا إسناد شريف لانه مروي عن اهل البيت .

(٥) فخما : مهيبا .

(٦) مفخما : معظما .

(٧) المشذب : الطويل البائن .

(٨) عقيقته : شعر راسه والمراد انه اذا انفرق شعر راسه من ذات نفسه تركه مفروقا .

فَرَقَ ، وَإِلاّ فلا يجاوز شَعَرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إذا هو وفّره (١) .

لونه صلى الله عليه وسلم

أزهر اللّون (٢) .

وجهه صلى الله عليه وسلم

واسع الجبين .

حواجبه صلى الله عليه وسلم

أزَجّ (٣) الحواجب ، سوابغ من غير قرن ، بينهما عرق يُدِرُّهُ (٤) الغضبُ .

أنفه صلى الله عليه وسلم

أقنى (٥) العرنين (٦) له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمّله أشمّ (٧) .

لحيته صلى الله عليه وسلم

كَثّ اللّحية .

عيناه صلى الله عليه وسلم

أدعج (٨) .

خداه صلى الله عليه وسلم

سهل الخدّين .

(١) أي تركه وافراً أو جعله وفرة إذ لا يُسمّى وفرة إلا إذا وصل إلى الشحمة .
(٢) أزهر اللون : أبيض نيّراً .
(٣) أزج : دقيقها مع غزارة .
(٤) يدره : يحركه .
(٥) أقنى : طويل الأنف مع دقة نهايته وارتفاع وسطه .
(٦) العرنين : تحت مجتمع الحواجب وهو أوله .
(٧) الأشم : هو مرتفع قصبة الأنف مع ارتفاع الارنبة قليلاً واستواء الأعلى .
(٨) أدعج : شديد سواد الحدقة مع شدة بياض ما حولها .

فمه وأسنانه صلى الله عليه وسلم

ضَلِيعَ(١) الفَمِ ، أَشْنَب(٢) مُفَلَّجَ(٣) الأسنانِ دقيقَ المَسْرُبَةِ(٤) .

عنقه صلى الله عليه وسلم

كَأَنَّ عُنقَه جِيدُ دُمْيَةٍ في صَفَاءِ الفِضَّة .

خلقه صلى الله عليه وسلم

معتدلَ الخَلقِ .

بادناً ، مُتَماسِكاً .

سواءَ البطنِ والصَّدرِ ، مُشِيح(٥) الصَّدرِ .

بعيدَ ما بَينَ المَنْكِبين .

ضَخْمَ الكراديس(٦) .

أَنْوَرَ المُتَجَرِّدِ(٧) .

موصولَ ما بين اللَبَّة(٨) والسُرةِ بشَعر

(١) ضليع : واسع .
(٢) شديد بياض الأسنان والشنب بهاؤها .
(٣) مفلج : تباعد قليل في الثنايا فقط .
(٤) المسربة : خيط الشعر بين الصدر والسرة .
(٥) مشيح : عريض متسع .
(٦) الكراديس : رؤوس العظام .
(٧) المتجرد : ما تجرد من بدنه اعظم اشراقا من غيره .
(٨) بفتح اللام وهو الصدر .

يجـري كالخَطِّ عاري(١) الثَّديين وما سـوى ذلك(٢) .

أشعرَ الذراعـين ، والمَنْكِبين ، وأعالي الصَّدْرِ طويلَ الزَّندين .

رَحْـب الراحَـةِ ، شَثْنَ(٣) الـكفَّين والقَدمَين .

سائل الأطرافِ ـ أو قال سائن الأطرافِ وسائر الأطرافِ .

سَبْط(٤) العَصَب، خُمْصانَ الأَخْمَصَيْنِ(٥).

مَسِيح(٦) القدمين ينبُو عنهما الماء .

إذا زَالَ زالَ تَقَلُّعاً ويخطُو تكفُّؤاً(٧) ويمشي هَوْناً ، ذَريـع(٨) المِشْية . إذا مشى كأنَّمـا ينحَطُّ مـن صَبَبٍ . وإذا التَفَتَ التَفَتَ جميعاً .

مشـيه صلى الله عليه وسـلم

(١) اي ليس عليهما شعر .
(٢) اي ما سوى الشعر الذي بين السرة واللبة وهو بدل من الثديين .
(٣) شثن : الذي يميل الى شيء من الغلظة لانه اقوى .
(٤) سبط العصب : اي ان أطراف مفاصله ممتلئة من غير نتوء .
(٥) خمصان الاخمصين : شديد تجافي اخمص القدمين عن الارض وهو الموضع الذي لا يطأ الارض من القدمين .
(٦) المسيح : الاملس الذي لا نتوء فيه .
(٧) أي اذا مد خطاه بميل إلى قدامه .
(٨) ذريع : سريع .

خشوعه صلى الله عليه وسلم

خافِض الطَّرف . نَظَرُه إلى الأرضِ أطولُ من نَظَرِهِ إلى السَّماءِ ، جُلُّ نظرِهِ الملاحَظَةُ .

يسوقُ أصحابَهُ . ويبدأُ من لقيَهُ بالسَّلام .

منطقه صلى الله عليه وسلم

قلتُ : صِف لي مَنطِقَهُ .

قال : كان رسُول الله صلى الله عليه وسلَّم متواصِلَ الأَحْزان دائمَ الفِكْرَةِ ، ليست لَهُ راحَةٌ . ولا يَتَكَلَّمُ في غير حَاجَةٍ ، طويلَ السُّكوت . يفتَتِحُ الكلامَ ويختِمُهُ بأشْدَاقِهِ(١) ويتكلَّم بجوامِعِ الكَلِم ، فَصْلاً(٢) لا فُضولَ فيه ، ولا تَقصيرَ .

خلقه صلى الله عليه وسلم

دَمِثاً(٣) ليس بالجافي ولا المَهين . يُعظِّمُ النِّعْمَةَ وإنْ دقَّت .

لا يَذُمُّ شَيئاً ، لم يكن يذُمُّ ذَوَاقاً(٤) ولا يمدحُهُ .

(١) جمع شِدق وهي جوانب الفم لسعة فمه الدالة على فصاحته .
(٢) فصلاً : قاطعاً جامعاً مانعاً .
(٣) دمثاً : ليِّن الخُلق سهله .
(٤) ذواقاً : طعاماً أو شراباً .

غضبه صلى الله عليه وسلم

ولا يُقامُ لغضبه إذا تَعَرَّضَ لِلْحَقِّ بشيْءٍ حتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ ، ولا يَغْضَبُ لنَفْسِهِ ولا ولا يَنْتَصِرُ لها .

إشاراته صلى الله عليه وسلم

إذا أشار أشار بكفِّه كُلِّها .

وإذا تعجَّب قَلَبها .

وإذا تَحَدَّثَ اتَّصَل بها ، فَضَرَبَ بإِبْهامِهِ اليُمْنَى راحَتَهُ اليسرى .

وإذا غَضِبَ أعرضَ وأشاحَ وإذا فرح غضَّ طَرْفَهُ .

ضحكه صلى الله عليه وسلم

جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ ، ويَفْتَرُّ عن مثلِ حَبِّ الغَمامِ .

قال الحَسَنُ : فكَتَمْتُها عن الحُسَيْن بن علي زماناً ، ثم حَدَّثْتُهُ فوجَدْتُهُ سبَقني إليه . فسأل أباهُ عَنْ مدخَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّ اللَّهُ عليه وسلَّم ومَخرجِهِ ، ومَجْلِسِهِ وشَكْلِهِ ، فلم يَدَعْ مِنهُ شَيئاً .

قال الحسين(١) : سألتُ أبي عن دخول

(١) رواه الاصبهاني وفي بعض الفاظه اختلاف .

دخوله صلى الله عليه وسلم

رسولِ اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلّم . فقال : كان دخولَه لنفسِهِ ، مأذوناً له في ذلك فكان إذا أوى إلى منزله جزَّأ دُخولَه ثلاثةَ أجزاء ــ جزءاً للّٰه ، وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه .

تقسيم وقته صلى الله عليه وسلم

ثم جَزَّأ جُزْأه بينَه وبينَ النَّاس ، فيرد ذلك على العامَّة بالخاصَّةِ ولا يدَّخِرُ عنهم شيئاً فكان من سيرته في جزء الأمة إيثارُ أهلِ الفضل بإذنه ، وقسمته على قدر فضلهم في الدين . منهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج . فيتشاغل بهم ويشغَلُهم فيما أصلحهم والأُمَّةَ من مسئلته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم .

ويقول(١) : « ليبلّغ الشاهد منكم الغائب، وأبلِغُوني حاجةَ من لا يَستطيعُ إبلاغي حاجَتَهُ ، فإنَّه من أبلغَ سُلطاناً حاجةَ من لا يستطيعُ إبلاغها ثَبَّت اللّٰه قدميه يوم القيامة » .

لا يُذْكَرُ عنده إلاَّ ذلك ، ولا يُقْبَلُ من أحدٍ غيره .

(١) رواه الاصبهاني وفي بعض الفاظه اختلاف .

وقال(١) في حديث سفيان بن وكيع : يدخلون رُوَّاداً ولا يتفرَّقون إلاَّ عن ذَوَاقٍ ، ويخرجون أَدِلَّةً ـ يعني فقهاء .

قلت : فأخبِرني عن مخرجِهِ كيفَ كان يصنَعُ فيه ؟

مخرجه صلى الله عليه وسلم

قال : كان رسُولُ اللهَ صلى اللهَ عليه وسلَّم يَخْزُن لسانَهُ إلاَّ مِمَّا يَعنيهم . ويؤلِّفُهم ولا يُفَرِّقُهم .

يُكرمُ كريمَ كُلِّ قَوم ، ويولِّيه عليهم .

ويَحْذَرُ النَّاس ويَحْتَرِسُ منهم ، من غير أن يطوي عن أحد بِشْرَهُ وخُلُقَهُ . ويتفَقَّدُ أصحابَهُ . ويسألُ النَّاس عَمَّا في الناس . ويحسِّنُ الحَسَنَ ويُصَوِّبُهُ ، ويقبِّحُ القبيحَ ويوهِّنُه .

معتدلُ الأمر غيرُ مختلف ، لا يغفُلُ مخافةَ أن يغفُلوا أو يملُّوا .

لكل حال عنده عَتَادٌ(٢) ، لا يُقصِّر عن

(١) قال : اي علي بن ابي طالب .
(٢) عتاد : عدة ...

الحَق ولا يجاوزهُ الى غيره . الّذين يلُونَهُ من النّاس خيارُهم ، وأفضلُهم عندهُ أعمُّهم نصيحـة ، وأعظمُهم عنـدهُ منزلة أحسنُهم مواساةً وموازرة .

فسألتُهُ عن مجلسـه عَمّا يصنَعُ فيه ؟!

معلسه صلى الله عليه وسلم

فقال : كان رسولُ اللهَ صَلّى اللهُ عليه وسلّم لا يجلِس ولا يقـومُ إلاّ عـلى ذكـر . ولا يُوطِنُ(١) الأماكنَ ويَنهى عن إيطانها . وإذا انتهى إلى قومجلسحيثُ ينتهي به المجلسُ ، ويأمُـرُ بـذلك ، ويعطي كـل جُلسَائـه نصيبَهُ ، حتّى لا يحسبَ جَليسُهُ أنَّ أحداً أكرم عليه منه . من جالَسَهُ أو قاومه لحاجة صابره حتّى يكـون هُوَ المُنصرِفَ عنـه . من سأله حاجَةً لم يَرُدَّهُ إلاّ بها ، أو بِمَيسور من القَول ، وقـد وسِعَ النّـاسَ بَسطُهُ وخُلُقهُ ، فصار لهم أباً . وصاروا عندهُ في الحقِّ سواء . مجلسُهُ مجلسُ حِلْم ، وحياء ، وصَبْرٌ وأمانة . لا تُرفع فيه الأصواتُ . ولا تُؤبَنُ(٢) فيـه الحُرمُ . ولا تنثَى(٣) فَلَتَاتُهُ

(١) لا يوطن : اي لا يجعل لنفسه مرطنا ومكانا معيناً في المجالس .
(٢) لا تؤبن فيه الحرم : اي لا تذكر بسوء .
(٣) لا تنثَى : من النثاء ضد الثناء اي لا تذكر ولا تشاع .

ـ وهذه الكلمة من غير الروايتين ـ يتعاطفون بالتّقوى متواضعين ، يُوقّرون فيه الكَبير ، ويرحَمُون الصغير ، ويرفُدون(١) ذا الحاجة ، ويرحَمُون الغريب .

سيرته في جلسائه صلى الله عليه وسلم

فسألتُه : عن سيرته صلى الله عليه وسلّم في جُلَسائِه .

فقال : كان رسولُ اللّهَ صلى اللّهَ عليه وسلّم دائمَ البِشر سهلَ الخُلُق ، ليّنَ الجانب ، ليس بفظٍّ ولا غَلِيظٍ ، ولا سَخّابٍ(٢) ولا فَحّاشٍ ، ولا عَيّابٍ ، ولا مدّاحٍ .

يتغافَلُ عما لا يشتَهي ، ولا يُؤيسُ منه .

قد تَركَ نفسَهُ من ثلاث ، الرياء ، والإكثارُ وما لا يَعنيه . وتركَ النّاس من ثلاث : كان لا يَذُمُّ أحَداً ـ ولا يعيّره ـ ولا يطلب عَورتَهُ ولا يتكلّمُ إلاّ فيما يرجُو ثوابَهُ .

إذا تكلّمَ أطرقَ جلسَاؤه كأن على

(١) يرفدون : يعينون ويغيثون .
(٢) وهي بمعنى صخاب .

احوال صحابته عنده صلى الله عليه وسلم

رؤوسِهم الطّيرَ . واذا سكتَ تكلّموا ، لا يتنازعُون عِنده الحديثَ . من تكلّم عنده أنصتُوا له حتى يفرُغ . حديثُهم حديثُ أوّلِهم . يضحكُ مِمَّا يَضحكُون منه ، ويتَعجّبُ مِمَّا يتعجبون مِنه . ويصبِر للغريبِ على الجَفوةِ في المَنطِق .

ويقول : « إذا رأيتم صاحِبَ الحاجَةِ يطلُبُها فأرفِدوه(١) » .

ولا يطلبُ الثّنَاء إلا مِن مُكافِىء ولا يقطع على أحد حديثهُ حتّى يتَجوّزَهُ فيقطعه بانتهاءٍ أو قيامٍ . هنا انتهى حديث سفيانَ ابنِ وكيع .

انواع سكوته صلى الله عليه وسلم

وزاد الآخر(٢) : قلت : كيف كان سكوتُه صَلّى الله عليه وسلّم ؟!

قال : كان سكوتُه على أربع : على الحِلمِ ـ والحَذر ـ والتّقدير ـ والتّفكير .

(١) فارفدوه : أي أعطوه بعض كفايته او اعينوه .

(٢) بسند المصنف من طريق أبي علي الحافظ ابن سكرة منتهياً إلى الحسن بن علي راوياً عن أخيه الحسين رضي الله عنهما .

ـ فأمّا تقـديره' ففي تَسـويةِ النّظَرِ والاستماعِ بين النّاسِ .

ـ وأما تفكّره' ففيما يَبقى ويفنَى .

وجُمِعَ له الحلمُ صلّى اللهُ عليه وسَلّم في الصبر فكان لا يُغضِبه شيء يستفِزّه .

وجُمِعَ له في الحـذر أربع'' : ـ أخـذه بالحَسَن ليُقتدى به .

ـ وتركُه القبيحَ ليُنتَهى عنه .

ـ واجتهادُ الرأي بما أصلح أمته .

ـ والقيام لهم بما جمع لهم من أمر الدنيا والآخرة .

انتهى الوصف بحمد اللهُ .

★ ★ ★

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارىء :

إثر انتهائكَ من قراءة هذه الشمائل الكريمة ، وقد فاض نورها في قلبكَ ، وانتشرت هدايتها في عقلك ، وبعثت فيك سر الطمأنينة ، كما انتزعت من نفسكَ الأهواء والانحرافات .. يطيبُ لكَ أن ترقى بفؤادك الى سمو التطهر ، ونقاء الصلة ، مردداً معَ من تصفيهم المودة ، وتطارحهم الإخلاص دعواتٍ خالصةً ، أثرت عن لسان حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم .. فهلم أخي الحبيب : أدعُ زوجكَ وأولادكَ في مجلس عطر يعبقُ بشذى الإيمان ، ويضيءُ بشعاع الهداية . وردد وإياهم :

سبحانكَ اللهم وبحمدكَ أمرتنا بالدعاء ، ووعدتنا بالاستجابة .

فلكَ الحمدُ يا ربنا لما ينبغي لجلال وجهكَ ولعظيم سلطانك .

يا ربنا لكَ وجهت وجهي ، فاقبل اليّ بوجهك الكريم ، واستقبلني بمحض عفوكَ وكرمكَ ، وأنت ضاحكٌ اليّ ، وراض عني .

(لا إلهَ إلاّ أنْتَ سبْحانكَ إنّي كنْتُ من الظالمين) .

لا إله إلاّ الله ، وأستغفرُ الله لذنبي وللمؤمنين والمؤمنات عددَ خلقه ، ورضاءَ نفسه وزنةَ عرشه ، ومدادَ كلماته .

ياواسعَ المغفرة يا غفارُ . يا غافرَ الذنب ، يا قابلَ التوب ، اغفر لي ولوالدي وللمؤمنينَ يوم يقومُ الحسابُ .

اللّهُمّ إنّي أعُوذُ بنور قُدْسِكَ ، وعَظَمة طهارتِكَ ، وبركةِ جَلالِكَ ، من كل آفة وعاهَة ومنَ طوارقِ اللّيلِ والنّهار إلاّ طارقاً يَطرُقُ بخَيرٍ .

يا رحمنُ انتَ غياثي فبِكَ اغُوثُ ، وانت مَلاذي فبِكَ الُوذُ ، وانت عياذي فبِكَ أعُوذُ ، يامن ذلّت لَهُ رقابُ الجبابرةِ ، وخضعت لَهُ اعناقُ الفراعنَةِ ، اعوذُ بك من خزيك وكشفِ سترك ، ومن نسيَان ذكرِكَ ، والانصرافِ عن شُكرِكَ ، أنا في حِرزك ليلي ونَهاري ، ونومي وقراري ، وظعني واسفاري ، ذكرك شعاري ، وثنَاؤك دثاري ، لا إله إلاّ أنتَ تعظيماً لوجهك ، وتكريماً لسبحاتِك ، أجرني من خزيك ، ومن شَر عبَادك ، واضرب علي سُرادقات حفظِك ، وادخلني في حفظِ عنَايَتك ، وعدُ لي بخيرٍ منكَ ، يا أرحمَ الراحمين ، ياذا الجَلالِ والإكرامِ .

سُبحانَك اللّهُم وبحمدكَ ، قولك الحق ، ولكَ الملكُ ، انّما أمرُكَ اذا أردتَ شيئاً أن تَقول لَهُ كُنْ فيكونُ .

سُبحانَكَ بيَدك ملكوت كل شيء ، يداك مبسوطتانِ تنفقُ كيفَ تَشاءُ ، تختصُ برحمتِكَ من تشاءُ وأنتَ ذو الفضلِ العظيمِ .

ياباسِطَ اليَدينِ بالعَطايا ، يا ذا الفضلِ العظيم ، يا ذا الجُود والكَرمِ ، يا حنّانُ يا منّانُ يا رب يا رحمنُ ، يا مُستعان يا كريم يا ذا الجَلالِ والإكرامِ ، أنتَ ربّنا الأكرمُ ذو الجَلال والإكرام أعطِنَا من خيرِ ما أعطَيتَ نبيّنا سيّدَنا محمّداً عطاء تُحبُه وترضاهُ وأنتَ ضاحكُ'' إلينا ، وراضٍ عنّا عَطاءً عظيماً عَطاءً غيرَ ممنونٍ ، عطاءً ما لَهُ من نَفادٍ ، عطاءً أنتَ لهُ أهل'' إنّك أهل التّقوى وأهلُ المَغفرة) يا أرحَمَ الراحِمين .





الصفحة	الموضـــــوعات

في تكميل الله تعالى ـ له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا .

٧ مقدمة الباب الثاني :
خصال الجمال والكمال في البشر ـ الضروري ماليس فيه اختيار ـ المكتسبة : ما تقرب الى الله ، وللانسان فيها اختيار ـ لا بد للإخلاق المكتسبة من اصول .

٩ الفصل الأول :
يعظم الانســان بقليل من هذه الخصــال ـ اجتماع خصال الكمال والجلال في محمد صلى الله عليه وسلم ـ لا يحيط بصفاته الا مانحها .

١٢ الفصل الثاني :
صفاته الخلقية صلى الله عليه وسلم .. حاز جميع خصال الكمال الضروري ـ الصـورة وجمالهـا ـ الرواة ـ صفاته الخلقية ـ نور وجهـه كالشمس والقمر ـ وصف علي رضي الله عنه له .

١٧ الفصل الثالث :
نظافتـه صلى الله عليه وسلم .. تمم الله نظافة جسده بنظافة الشرع ـ طيب رائحة يده صلى الله عليه وسلم ـ كانوا يمزجون طيبهم بعرقه صلى الله عليه وسلم ـ صلى الله عليك ياسيدي يارسول الله طبت حيا وميتاً ـ ذكر من شرب دمه صلى الله عليه وسلم .

٢١ الفصل الرابع :
وفور عقله وفصاحة لسانه وقوة حواسه صلى الله عليه وسلم ..
كان صلى الله عليه وسلم أعقل الناس ـ عقـول النـاس كعبة رمل في جنب عقـله صلى الله عليـه وسلم ـ يرى من خلفـه كمـا يرى من أمامه ـ رؤيته الملائكة والشياطين ـ رفع النجاشي له ورؤيته بيت المقدس والكعبة ـ صرع ركانة ـ سرعة مشـيه صلى الله عليـه وسلم ـ ضحكه كان تبسما ـ مشـيه كان تقلعاً .

الصفحة	الموضـــــوعات

٢٥ **الفصل الخامس :**

فصاحة لسانه وبلاغته صلى الله عليه وسلم ...

يخاطب كل امة بلسانها ـ كلامه مع ذي المشعار الهمداني وغيره من أمراء حضرموت ـ كتابه الى همدان ـ قوله لنهد ـ كتابه لوائل بن حجر ـ حديث عطية السعدي ـ حديث العامري ـ كلامه المعتاد ـ نماذج من بلاغته وفصاحته وجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ـ بعض دعائه صلى الله عليه وسلم ـ أساليب جديدة ـ سر فصاحته ـ جمع في كلامه جزالة البادية ورونق الحاضرة ـ امداد الوحي له ـ وصف أم معبد لمنطقه .

٣٧ **الفصل السادس :**

شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه صلى الله عليه وسلم ...

نخبة بني هاشم ـ مكة وكرمها ـ خير القرون قرن النبي صلى الله عليه وسلم ـ خيرهم نفسا وخيرهم بيتاً .

٣٩ **الفصل السابع :**

حالته صلى الله عليه وسلم في الضروريات ...

ما يمتدح بقلته ـ كثرة الاكل دليل على النهم والحرص ـ قلته دليل على القناعة ـ كثرة النوم دليل على الفسولة ـ الشاهد على هذا ـ اخذ بالاقل منها ـ البطن شر وعاء يملأ ـ كثرة النوم من كثرة الطعام والشراب ـ من نام كثيرا خسر كثيرا ـ لم يمتلىء جوفه شبعاً ـ لا يسال الطعام ـ اعتراض بحديث بريرة ـ الجواب عنه ـ الاتكاء هو التمكن للأكل ـ نومه كان قليلا ـ النوم على الجانب الايمن وحكمته .

٤٥ **الفصل الثامن :**

زواجه صلى الله عليه وسلم وما يتعلق به ...

النكاح دليل الكمال والصحة ـ عقلا ـ شرعاً ـ النهي عن التبتل ـ لا يقدح الزواج في الزهد ـ اعتراض ـ يحيى الحصور ـ تبتل عيسى عليه السلام ـ جواب الاعتراض ـ الحصور هو المعصوم من الذنوب ـ فضيلة زائدة .. لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زادته عبادة ـ حبه للنساء والطيب ليس لدنياه بل لآخرته ـ الجاه ـ آفات الجاه ـ مكانته في القلوب قبل النبوة ـ هيبته في قلوب الناظرين اليه .

الصفحة	الموضـــــوعات

٥١ **الفصل التاسع :**

ما يتعلق بالمال والمتاع ...

العامة تعظم صاحب المال ـ ليس المال فضيلة بنفسه ولكن بما يشترى به من المحمدة ـ المال بالحرص والبخل كالعدم ـ البخيل خازن مال غيره ـ المنفق مليء ـ ما أوتيه صلى الله عليه وسلم من اموال الارض ـ لم يمسك منه درهما ـ راحته بالنفقة ـ زهده فيما سوى الضروري من نفقته وملبسه ومسكنه ـ المباهاة بالملابس ليست من خصال الشرف ـ المحمود نقاوة الثوب وكونه لبس مثله .

٥٦ **الفصل العاشر :**

الأخـلاق الحميـدة ...

الخصال التي اتفق العقلاء على مدح صاحبها ـ ثناء الشرع عليها ـ تعريف حسن الخلق ـ كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن ـ بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ـ ليست اخلاقه باكتساب .

٥٨ **الفصل الحادي عشر :**

العقـــــل ...

العقل ـ فروع العقل ـ من علومه ـ نبي أمي ـ بحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم .

٦١ **الفصل الثاني عشر :**

الحلم والاحتمال والعفو ...

الفرق بين هذه الالفاظ ـ الحلم ـ الاحتمال ـ الصبر ـ العفو ـ لا يزيد مع كثرة الأذى الا صبرا ـ كان أبعـد النـاس من الاثر ـ لم ينبعث لعانا ـ غورث بن الحارث ومحاولة اغتياله صلى الله عليه وسلم ـ خير الناس ـ عفوه عن اليهودية التي أرادت قتله ـ صبره على المنافقين ـ صبره على جفوة الاعراب وغلظتهم ـ كان لا ينتصر لنفسه بل لله عز وجل ـ حلمه مع من أراد قتله ـ حلمه على من اغلظ له بالقول ـ من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم انه يسبق حلمه غضبه ، وانه لا تزيده شدة الجهل الا حلما ـ موقفه من قريش بعد أن امكنه الله منهم ـ موقفه من ابي سفيان بعد أن تمكن منه .

الصفحة الموضـــــوعات

٧١ الفصل الثالث عشر :

الجـود والـكرم ...

التفريق بين معاني الجود والكرم والسماحة ـ الكرم ـ السماحة ـ السخاء ـ ما سئل عن شيء فقال لا ـ كان اجود الناس ، واجود ما يكون في رمضان ـ يعطي عطاء من لا يخشى فاقة ـ الغاية في السخاء ـ كان لا يدخر شيئا لغد صلى الله عليه وسلم .

٧٦ الفصل الرابع عشر :

الشجاعة والنجدة ...

تعريف الشجاعة ـ النجـدة ـ شجاعته يوم حنـين ـ يحتمي الشجعان به عند اشتداد الحرب ـ كان اول مستبرىء للخبر عند الفزع ـ كان اول من يضرب عند الهجوم ـ قتل 'ابي بن خلف يوم 'احد ـ شر الناس من قتله نبي .

٨١ الفصل الخامس عشر :

الحيـاء والاغضـاء ...

تعريف الحياء ـ الاغضاء ـ كان صلى الله عليه وسلم يعرض بما يكره ـ وصفه بذلك في التوراة .

٨٤ الفصل السادس عشر :

حسن العشرة والادب وبسط الخلق ...

وصف علي له ـ لا يطوي عن أحد بشره ـ وصف ابن أبي هالة له صلى الله عليـه وسلم ـ يقبـل الهدية مهما حقرت ويكافىء عليها ـ وصف الخـادم أنس لسيده ـ اهتمامه بامور الناس ـ اكرام الناس باخلاق وبشاشة ـ كان اكثر الناس تبسما ـ خدم المدينة يأتون بالماء ليتبركوا .

٩٠ الفصل السابع عشر :

الشـفقة والرحمـة ...

أعطاه الله اسمين من أسمائه ـ عطاؤه يمحو البغضاء ـ شفقته على امتـه ـ رحمته ـ شفقته على الكفار وطمعه في ايمان ذرياتهم ـ ينصح الناس بالرفق.

الصفحة	الموضـــــوعات
٩٤	**الفصل الثامن عشر :**
	الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم ...
	حسن وفائه ـ حسن العهد في الايمان ـ صلته الرحم ـ ان لهم رحماً ـ حسن مقابلته للاحسان ـ بره بمرضعته .
٩٨	**الفصل التاسع عشر :**
	التواضـــــع ...
	كان أشد الناس تواضعاً ـ اختار أن يكون نبياً عبداً ـ لا تقوموا كما يقوم الأعاجم ـ انما أنا عبد ـ يركب الحمار ـ حج عليه الصلاة والسلام على رحل رث ـ تواضعه عند الفتح ـ قيامه صلى الله عليه وسلم بأعمال البيت .
١٠٢	**الفصل العشرون :**
	العدل والأمانة والعفة وصدق اللهجة ...
	أعداؤه يعترفون له بذلك ـ تحكيمه في الجاهليـة لرفع الحجر ـ لا يكذبونه ولكن يكذبون بما جاء به ـ هرقل يسأل عن صدقه ـ أصدقكم حديثاً ـ كان يختـار أيسر الأمرين مالم يكـن اثمـا ـ تجزىء أوقاته ـ بلغـوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي .
١٠٧	**الفصل الحادي والعشرون :**
	الوقار والصمت والتؤدة والمروءة وحسن الهدي ...
	كان أوقر الناس في مجلسه ـ اكثر جلوسه محتبياً ـ كان كثير السكوت ـ ضحكه التبسم ـ كان سكوته على أربع حالات ـ كلامه ـ ما حبب اليـه من الدنيا ـ استعماله خصال الفطرة .
١١١	**الفصل الثاني والعشرون :**
	الزهـــد في الدنيـــا ...
	توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله ـ ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا ـ أجوع يوماً وأشبع يوماً ـ الدنيا دار من لا دار له ـ عدد من الروايات في قـوته وقوت اهله ـ فراشه ادم حشـوه ليف ـ وطاته منعتني الليلة صلاتي .

الصفحة	الموضـــوعات

١١٦ **الفصل الثالث والعشرون :**

الخوف من الله والطاعة له وشدة العبادة ...
صلته بربه على قدر علمه به ـ قام حتى تورمت قدماه ـ افلا اكون عبدا شكورا ـ صلاته صلى الله عليه وسلم في الليل .

١٢١ **الفصل الرابع والعشرون :**

حديث الحسن عن ابن ابي هالة في جمع (الشمائل) .
وجهه صلى الله عليه وسلم ـ طوله صلى الله عليه وسلم ـ شعره صلى الله عليه وسلم ـ لونه ـ وجهه ـ حواجبه ـ انفه ـ لحيته ـ عيناه ـ خداه ـ فمه واسنانه ـ عنقه ـ خلقه صلى الله عليه وسلم ـ مشيه ـ خشوعه ـ منطقه ـ خلقه ـ غضبه ـ اشاراته ـ ضحكه ـ دخوله ـ تقسيم وقته ـ مخرجه ـ مجلسه صلى الله عليه وسلم ـ سيرته في جلسائه ـ احوال صحابته عنده ـ انواع سكوته صلى الله عليه وسلم .

بيـان الخطـأ والصـواب

في الجزء الأول من

كتاب تهذيب الشفا

أخي القارىء :

معذرة لوقوع بعض الأخطاء المطبعية في الجزء الأول من كتاب « تهذيب الشفا » واليكها راجين منك تصحيحها :

ص	س	خطـأ	صواب
١٠	١٦	ماضى	ماضٍ
١١	٤	يتنعمّون	يتنعَّمون
١٣	١٥	مَحلَه	محلَّهُ
١٤	١٦	للشـ	للشاعر
٤٨	٤	بهان	بهـا
٧١	١٩	آية ١٠٧ ١٠٧٠	آية ١٠٧
٧٩	٢٠	الخصلة	والخصلة

يطلب هذا الكتاب مجانا من :

شركة النهضة الطبية

جـدة ـ ص.ب ٤٦٨٣

تليفون : ٦٨٩١٢٠٨ـ٦٨٧٧٨٤٨

طبع بموافقة وزارة الاعلام السعودية

رقم ٣١٢ /م/ج تاريخ ١٤٠٣/٣/١٢هـ

مطابع سحر